

الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم

رحلة محمود البوسعيدري

1872

الحجاز - مصر - الشام



حققها وعلّق عليها: تيسير خلف



الحمد في عصرنا

تمثل رحلة السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي «الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم» نصاً فريداً يمكن من خلاله دراسة الصدمة الحضارية الغربية التي بدأت منطقتنا العربية تتلمس أبعادها المباشرة في العقد السابع من القرن التاسع عشر، وخصوصاً الاقتصادية والمالية منها، وكذلك تأثر اللغة العربية بالمصطلحات الغربية التكنولوجية، التي بدأت تغزو العالم في ذلك الوقت من عمر الثورة الصناعية. وعليه؛ فإن نص السيد حمود البوسعيدي على هذا الصعيد، هو واحد من أهم النصوص الجديدة بالدراسة، إن لم يكن أهمها، وخصوصاً لجهة تسمية الآلات ووسائل المواصلات والشبكة السلكية الوليدة، وبدايات استخدام بعض المنتجات النفطية والكهرباء.

الناشر

مرحله محمود البوسعيدى

1872م

رحلة السيد
حمود بن أحمد بن سيف البوسعيد
1872م

حققتها وعلق عليها: تيسير خلف

© جميع الحقوق محفوظة

2009



للتأليف والترجمة والنشر

دمشق - حلبوني - الجادة الرئيسية
تلفاكس 2236468 جوال 330989 0944

ص.ب: 11418

WWW.ATTAKWIN.COM
INFO@ATTAKWIN.COM
taakwen@yahoo.com

الدر المنظوم في ذكر محاسن الأمصار والرسوم

رحلة محمود البوسري

1872م

حققها وعلق عليها

تيسير خلف

التلويح

الباب الاول في صفات ارض حجاز وما اشتمل عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم يا من تملك السماء بناءً وجعل الصعود اليها معراجاً
وجعل فيها شمساً وقراً منيراً اسراجاً وهجاً واودعها بروجاً
وانزل من الغصن ماءً فحجاً وجعل الارض باطناً تسلكوا
منها سبلاً فحجاً وخلق الليل والنهار آيتين وجعل في الارض
انزلاً وجعل فيها الانهار عذبةً فرائداً وجعل فيها بحراً
أجاً وندى بها السير وجعل الغيوم هاديّة لمن يلج الليل ابلاً
واشرك اللهم شكر بعدد القطر وجرّان البحر ومناقب
بحال دعد المحصى والثرى وما كتب به القلم وما جرى دعد
الغوم وادراق الشجر والصلوة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
من مضر الذي قال انا سيد ولد آدم ولا فخر وعلى آله وصحبه وآل

الصفحة الاولى من المخطوط

دناليم قربا وكل فضيلة ، علت في الهام من دونهنا برج لهدري
 فاسعت اذناي شخصاً كمشيه ، ولا نظرت عينا بي يوماً بشهيد
 عجائب صنع الاولين كتاب ، حواها ولعبها اذ كان بمحصد
 وما قدر اى بن الاخير من آيات ، تفطن ما امك من نكاح مجد
 مولعظم النفع منها لكل من ، له القلب داع خائفاً من توعد
 فتأدرك او هو در منضد ، بسلك حين النظم في جيد اغيد
 اذ انشئت اذ الفرضاع عرف ، وضاء بليل حالك اللون اسود
 وبشرى لمن يقراء ان يك خائفاً ، على عهق يتلو بقلب موحا
 صلوق وتسليم مدى الدهر كل ، من اليا ري للهاري النبي محمد

تم الكتاب بعون الله



الوهاب محمد الله

رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

تقديم

بدأ اهتمامي الجدي برحلة السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدى المسماة «الدر المنظوم» في ذكر محاسن الأمصار والرسوم» قبل سنوات عديدة، وذلك عندما شرعت بجمع رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، في محاولة لتنفيذ حلم قديم عمره أكثر من 15 عاماً، لم تسعفني الظروف لتحقيقه في ذلك الزمن.

وأول من لفت نظري لهذه الرحلة أستاذنا الدكتور عبد الكريم رافق، الذي كانت له وقفة سريعة مع هذه الرحلة في بحثه الهام حول تاريخ فلسطين في العصر العثماني، المنشور في القسم الثاني من الموسوعة الفلسطينية المتخصصة «1990م». ولكن الدكتور رافق كان له رأي سلبي في الرحلة، لدرجة أنه أهملها في بحثه بسبب ما أسماها بـ«المبالغات وعدم دقة المعلومات فيها، وبخاصة ما يتعلق بأعداد السكان وتوزعها على الطوائف الدينية»، وهو ما دعاني حينها للتفتيش عن سبب هذا الموقف، بالبحث عن نسخة من المخطوطة لقراءتها والوقوف عليها، فحصلت في عام 2003م على نسخة مصورة من مخطوطة المتحف البريطاني لهذه الرحلة، عن طريق صديق لي يدرس هناك.

وعندما قرأت المخطوطة لم أجد فيها ما وجده الدكتور رافق، اللهم إلا أعداد سكان القدس عام 1872م وتوزعهم على الطوائف الدينية، حيث يقول السيد حمود البوسعيدى

إن «عدد المسلمين سكان المدينة ألفين، والنصارى أربعة وعشرين ألف، واليهود أكثر عدداً من النصارى». وهذه المبالغة التي أثارَت حفيظة الدكتور رافق، لم تكن بعيدة عن الأرقام المتداولة في ذلك الوقت، إن على صعيد السالنامة العثمانية، وهي الكتاب الرسمي، أو على صعيد ما ذكره الرحالة الآخرون أمثال فوغيه ونعمان قساطلي وغيرهم. وفي محاولتي لفهم موقف الدكتور رافق؛ اهتديت إلى المصدر الذي أخذ عنه المعلومات حول هذه الرحلة، وعندها تبينت سبب موقفه السلبي، وانجلت الحقيقة أمامي كاملة. فالدكتور رافق رجع إلى دراسة يعقوب لنداو حول الرحلة، هذه الدراسة المنشورة في كتاب «الاقتصاد والمجتمع في الإمبراطورية العثمانية»⁽¹⁾، فالمبالغة تقع مسؤوليتها على لنداو، الذي أعطى بقراءته لهذه الرحلة، الانطباع السلبي للدكتور رافق، وخصوصاً حول نسب الطوائف الدينية في القدس وغيرها.

وتتبع أهمية هذه الرحلة بالنسبة لي، من كونها الرحلة الأولى لعربي عماني يقيم في زنجبار⁽²⁾، إلى فلسطين في

(1) - An Arabic source for late ottoman history, Jacob Landau, Economie et societes dans l'empire ottoman Paris, 1983.

(2) - زنجبار اسم يطلق على مجموعة من الجزر التابعة لتزانيا في شرق إفريقيا، ولكنها تتمتع بحكم ذاتي واسع، وتتكون من جزيرتين كبيرتين هما زنجبار وبمبا. إضافة إلى سبع وعشرين جزيرة صغيرة تتوزع حول بمبا وتبعد عن شاطئ أفريقيا الشرقي قرابة 35 كلم مقابل تنجانيقا. احتل البرتغاليون زنجبار من عام 1503 حتى 1698، حيث قام العمانيون بطردهم في عهد السلطان سلطان بن سيف اليعربي. وفي عهد السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي، حدثت طفرة نوعية في الجزيرة واختارها

أواخر العصر العثماني، حيث كثرت رحلات الرحالة والمستكشفين الغربيين بعد اتضاح أبعاد المشروع الاستعماري الغربي على أرض فلسطين. كما أنها، أي الرحلة تمثل نصاً فريداً يمكن من خلاله دراسة الأبعاد الحضارية لتلك الحقبة، وخصوصاً الاقتصادية والمالية، وتأثر اللغة العربية بالمصطلحات الغربية التكنولوجية، التي بدأت تغزو العالم في ذلك الوقت من عمر الثورة الصناعية. وعليه؛ فإن نص السيد حمود البوسعيدي على هذا الصعيد، هو واحد من أهم النصوص الجديرة بالدراسة، إن لم يكن أهمها، وخصوصاً لجهة تسمية الآلات ووسائل المواصلات والشبكة السلكية الوليدة، وبدايات استخدام بعض المنتجات النفطية والكهرباء، وبداية استخدام مادة الإسمنت في البناء.

فمن هو السيد حمود البوسعيدي؟ وما الذي دفعه للقيام برحلته «الدر المنظوم» وزيارة فلسطين والشام بعد أن زار مصر وحج إلى الحجاز؟

عاصمة لدولته لأن بها المقومات الأساسية كالموقع الجغرافي المتميز والمناخ المعتدل. وتولي الحكم بعده السلطان ماجد بن سعيد ثم السلطان برغش بن سعيد. استقلت زنجبار عن بريطانيا كسلطنة ذات سيادة في 19 ديسمبر 1963. دخلت تنجانيقا مع زنجبار في اتحاد فدرالي ليشكلا تنزانيا، بأخذ الحرفين الأولين من كل منهما، وفي 12 يناير 1964م، قام عبيد كرومي بإنتقلاب ضد السلطان "جمشيد بن عبد الله وأعلن قيام.

ترجمته:

جاء في كتاب «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» لسعيد بن علي بن جمعة المغيري في ترجمة السيد حمود ما يلي: «إن أحسن ما ينبغي لنا أن نزين به صفحات هذا التاريخ هو ذكر السيد المحسن الجليل: حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي، ويناسب أن نخلد ذكره بجوار ذكرى مآثر هذا السلطان العظيم، رب المحامد والمكارم، السيد برغش بن سعيد⁽¹⁾. وحيث إن السيد برغش هو نادرة سلاطين زنجبار فكذلك السيد حمود بن أحمد نادرة رعاياه [من] عرب زنجبار. فكان - رحمه الله - أفضل المتقدمين والمتأخرين من العرب. إن المآثر التي تقرب بها لوجه الله السيد حمود بن أحمد، والأوقاف الطائلة التي أوقفها من أمواله في سبيل البر والرحمة؛ تدل على فضله وتقدمه على غيره.

فمن أعماله الجليلة المخلدة: بيت الرباط الذي بمكة المشرفة، اشتراه من طيب ماله، وأوقفه لوفد الله القادمين إلى حرّمه وأمنه، لأداء فريضة الحج من أهل عمان وزنجبار، والذين هم على مذهبه القويم الإباضي. وبيت الرباط الذي بزنجبار. وأوقف أموالاً بزنجبار وأراضٍ، تتفق غلتها على فقراء المسلمين من أهل مذهبه بزنجبار، وهي من الصدقات

(1) - السلطان برغش بن سعيد بن سلطان تولى زمام الحكم بزنجبار في 12 رجب 1287هـ وتوفي يوم 14 من شهر رجب 1305 هـ.

الجارية إلى الآن. ويناؤه المسجد المعروف باسمه بزنجبار، وجعل له وقفاً ينفق منه [على] طلبة العلم والمعلمين القائمين فيه، وهو أغنى مسجد بزنجبار. وبنى بموضع «بوبوبو» من زنجبار مدرسة لتعليم القرآن.

ومن أعماله وفضائله في «بوبوبو»: المسجد المبني بالزج، وما دار عليه من جميل البناء، والقصر الفاخر وما دار عليه من الأرض والأشجار، وجعل في هذه الحديقة معاصر من حديد لعصر قصب السكر، ومطاحن الدقيق تدار دواليبها بقوة جري الماء من الفلج، الذي أجراه من عين «موينانيا» وجعل ذلك وقفاً للانتفاع.

هذي المكارم لا تعبان من لين شيئا بماء فعادا بعد أبوالا ولم يبق من ذلك إلى اليوم إلا الآثار والأطلال. وقد أوقفه على أقاربه، وإن عدموا فلفقراء المسلمين. فجزى الله هذا الرجل الصالح عن الإسلام والعروبة أحسن الجزاء.

وقد زهد في الدنيا آخر أيامه، ولازم سكنى «بوبوبو»، وبالأخص البيت الذي كان بقرب المسجد، ولزم المحراب إلى أن توفاه الله تعالى باليوم العاشر من ربيع الأول سنة 1298هـ [الخميس 10 شباط «فبراير» 1881م]. ودفن بجوار مسجده في بوبوبو⁽¹⁾.

(1) - جهينه الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 1979.

إذن، كان السيد حمود البوسعيدي من الأسرة العمانية الحاكمة في زنجبار وعمان، وكان رجلاً ثرياً لدرجة أنه أوقف عدة أوقاف في مكة وزنجبار، وأنشأ مصانع وقصور في زنجبار، ولم تشر الترجمة إلى تاريخ ميلاده، وبالتالي لا يمكن لنا أن نعرف عمره حين توفى، ولكن هذه الوفاة حدثت بعد رحلته بحوالي تسع سنوات.

ومن ثانياً نص الرحلة نستشف أنه كان راجح العقل، محباً للمعرفة، يلفت نظره أي شيء حول الآلات و الميكانيك. وبالإضافة إلى ذلك نجده ينقل عن الآخرين بقوله: هكذا أخبرونا، عندما يتعلق الأمر بمعلومة شفوية، أو ينقل عن بعض المصادر المكتوبة مثل السعودي وغيره، لكن دون أن يشير للمصدر.

الرحلة:

خرج السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي من زنجبار بصحبة السلطان برغش بن سعيد بن سلطان حاكم زنجبار يوم 26 شوال 1288هـ [8 كانون الثاني «يناير» 1872م] لأداء مناسك الحج، فوصلا إلى مكة يوم 14 ذي القعدة 1288هـ [25 كانون الثاني «يناير» 1872م].

وبعد انتهاء المناسك بقي السيد حمود مجاوراً للبيت الحرام مدة تزيد على ثلاثة أشهر، اشترى أثناءها دار بيت الرياط الأول في صفر 1289هـ [نيسان «أبريل» 1872م]. ثم

انطلق في رحلته التي شملت شمال مصر وجنوب الشام، إلى أن عاد إلى مكة بتاريخ 1 شعبان 1289هـ [4 تشرين الأول «أكتوبر» 1872م]، حيث مكث إلى موسم الحج، وفي هذه الفترة اشترى دار بيت الرباط الثاني.

ويبدو أنه حرر رحلته أثناء وجوده في مكة، إذ يشير في خاتمتها إلى شاعر مكي يدعى الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحضرواي المكي الهاشمي، قرّض الرحلة بقصيدة منشورة في آخرها .

مخطوطة الرحلة:

النسخة التي عملنا عليها هي الثانية من المخطوطة، بدليل أنها مرقمة بالرقم 2 [نبذة 2] على صفحتها الأولى، وهي النسخة المحفوظة في المتحف البريطاني. وقد كتبت بخط نسخي مرسل، واضح مع بعض التشكيل وبعض علامات الترقيم البدائية، وتتكون من 84 صفحة وفي كل صفحة 12 سطراً وفي كل سطر نحو 9 كلمات.

وقد استخدم السيد حمود الكثير من المصطلحات المحلية الخاصة بجنوب الجزيرة العربية، مثل أسماء العناصر والتفاصيل العمرانية، ومعدات البحر وأجزاء السفن والزوارق وأسمائها المختلفة والمتنوعة، وكذلك بعض المصطلحات الهندية وخصوصاً مقياس اللك، والإنكليزية والفرنسية واللاتينية.

وقد امتازت لغة الرحلة بالسلاسة والاختصار والابتعاد عن التكلف والسجع، الذي كان يميز نصوص تلك الحقبة والحقب التي سبقتها. ولكننا لمسنا في الرحلة القليل من الأخطاء الإملائية والنحوية، وخصوصاً ما يتعلق بكتابة الهمزات وحذف النون الملحقة بواو الجماعة في قاعدة الأفعال الخمسة. وقد قمنا بتصحيح الأخطاء النحوية والإملائية، ولم نتدخل بصياغة الجمل وأسلوبها الذي يبدو في بعض الأحيان ركيكاً، وذلك حفاظاً على روح النص وزمنيته. كما قمنا بشرح الكثير من المفردات والمصطلحات في هوامش الرحلة، وقدمنا تعريفاً ببعض الشخصيات والأحداث وعادلنا التواريخ الهجرية بالميلادية، ليسهل فهم السياق التاريخي للنص.

تيسير خلف

دمشق مطلع عام 2004م

الباب الأول

في صفة أرض الحجاز وما اشتمل إليها

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم يا من سَمَكَ السماء بناءً، وجعل الصعود إليها معراجاً، وجَعَلَ فيها شمساً وقمرًا منبراً سراجاً وهَّاجاً، وأودعها بروجاً، وأنزلَ من المعصرات ماءً ثجاجاً، وجَعَلَ الأرض بساطاً لتسلكوا منها سُبُلًا فجاجاً، وخلق الليل والنهار آيتين وجعل في الأرض أزواجاً، وأجرى فيها الأنهار، فمنها عذباً فراتاً، وجَعَلَ منها بحراً أجاجاً، وقدَّرَ فيها السير وجَعَلَ النجومَ هاديةً لمن يلج الليل إيلاجاً.

وأشكرك اللهم شكراً بعدد القطر وجريان البحر ومثاقيل الجبال، وعدَدَ الحصى والثرى وما كتب به القلم وما جرى، وعدد النجوم وأوراق الشجر.

والضلوة⁽¹⁾ والسلام على سيدنا محمد المبعوث من مضر، الذي قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وعلى آله وأصحابه وزوجاته وعلماء أمته الذين اتبعوه في الأثر، وبعد ..

(1) - الكتابة القرآنية لكلمة الصلاة.

فيقول الفقير إلى الله تعالى حمود بن أحمد بن سيف
 البوسعيدي: لما كانت السياحة من سنن الأنبياء، والسادة
 الأتقياء، وفيها يضرب الأمثال والعبر، فهي عبرة لمن اعتبر.
 وذكر أنه أول من ساح في الأرض نبي الله دانيال عليه
 السلام، وذكروا أنه هو الذي حفر الدجلة وأوصلها بالفرات،
 وكانت سابقاً مقطوعة، وكانت عنده الأسماء التي خرج بها آدم
 عليه السلام من الجنة. ثم بعد توراثها أولادُهُ، وأكثر من ساح
 عيسى عليه الصلوة والسلام. ثم من هذه الأمة المحمدية
 الإمام البخاري رحمه الله وغيره في طلب الأحاديث وجمعها.
 وفي الأسفار تفريج هم، وتعلم أخبار، وتذكرة لأولي
 الأبصار، وقد قال بعض الأفاضل:

تَنَقَّلْ فَلَذَاتِ الْهَوَىٰ فِي التَّنَقُّلِ وَرَدِّ كُلِّ صَافٍ لَا تَقِفْ عِنْدَ مَنْهَلٍ
 ففي الأرض أجاب وفيها منازل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
 ولا تستمع قول امرؤ القيس إنه مُضِلٌّ وَمَنْ ذَا يَتَّقِي بِمُضَلِّ
 وعلى كل حال، إنه كان أول سياحتي التوجه إلى بيت الله
 الحرام، ومعاهد التجليات طلباً للغفران من الملك العلّام، وكان
 أول توجهنا من بندر⁽¹⁾ زنجبار يوم ستة وعشرين شوال في
 سنة ألف ومائتين وثمانية وثمانين⁽²⁾، بعد صلوة الصبح،
 بصحبة السيّد الهمام، الليث الضرغام، برغش بن سعيد بن

(1) - ميناء بالفارسية.

(2) - الاثنين 8 كانون الثاني (يناير) 1872م.

سلطان⁽¹⁾، فكان وصولنا إلى بندر جدة ليلة أربعة عشر من شهر ذي القعدة⁽²⁾، وأقمنا يوماً بجدة. وبعد العصر ليلة خمسة عشر، سرنا إلى مكة المشرفة، فدخلناها ليلة ست عشر من ذي القعدة⁽³⁾. وليلة أربع عشر من شهر ذي الحجة⁽⁴⁾، توجه السيد برغش ومن معه إلى المدينة المنورة، ويوم حادي محرم الحرام سنة 1289 [هجرياً]⁽⁵⁾ الساعة الثامنة من النهار، سافروا بن بندر جدة إلى زنجبار، وكان وصولهم من المدينة يوم السابع

(1) - السلطان برغش بن سعيد، ولد عام 1837م وتوفي عام 1888م. تولى زمام الحكم بزنجبار في 12 رجب 1287هـ بعد وفاة أخيه السلطان بن سعيد ماجد. وكان السيد برغش ذا هيبة ووقار، قرب العلماء وأوى الفضلاء والأخيار. واتخذ مركباً يحمل الحجاج من زنجبار إلى بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج مجاناً - ذهاباً وإياباً، وجعل مطبعة لطبع الكتب، فقد طبع في عهده عدداً من أجزاء (قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة) سنة 1297 هـ وطبع كتاباً أخرى، كما قام بتصليح البلاد، وكان صاحب كرم واسع. أثنى عليه الشعراء. و توفي السلطان برغش يوم 14 من شهر رجب 1305 هـ بالباخرة عند رجوعه من عمان، ودفن بزنجبار بجوار أبيه وأخيه. [راجع الموجز المفيد نبذة من تاريخ البوسعيد، تأليف السيد الفقيه القاضي حمد بن سيف بن محمد البوسعيد، مطبعة عمان ومكتبتها ش.م.م (ص 66- 69 - 81) الطبعة الثانية 1416هـ 1995م].

(2) - الخميس 25 كانون الثاني (يناير) 1872م.

(3) - السبت 27 كانون الثاني (يناير) 1872م.

(4) - السبت 24 شباط (فبراير) 1872م.

(5) - الاثنين 11 آذار (مارس) 1872م.

والعشرين من شهر الحج سنة 1288 [هجرية]⁽¹⁾، وكنت قد بقيت بمكة المشرفة، مجاوراً لبيت الله الحرام، وزمزم والمقام، وتطيت بمسك تراب تلك المشاعر العظام.

بمكة لي غناء ليس بغنى جوار الله والبيت المعظم

[الطائف]

ثم إنني في اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر وكان يوم الأحد سنة 1289⁽²⁾ توجهت إلى الطائف، وكانت الساعة الثامنة من النهار، وأصبحنا يوم الاثنين في سولة⁽³⁾، وقيلنا بها ورحلنا الساعة السابعة من النهار، وأصبحنا في السيل⁽⁴⁾ وقيلنا هناك، ورحلنا الساعة السابعة من نهار يوم الثلاثاء، وأصبحنا يوم الأربعاء بالطائف، ودخلنا البلد بعد طلوع الشمس بساعة، وبعد الاستراحة سرنا نزور ساداتنا: عبد الله بن العباس وأولاد النبي، الطيب والظاهر، وولد سيدنا علي بن أبي طالب محمد بن الحنفية رضي الله عنهم، وزبيدة بنت أبي جعفر المنصور العباسي، ومن معهم في القبة.

ثم زرنا الصحابة الاثني عشر، وهم شهداء الطائف، وثم سرنا إلى سيدنا زيد بن ثابت الصحابي ومن معه، ومن بعد

(1) - الجمعة 9 آذار (مارس) 1872م.

(2) - الأحد 16 حزيران (يونيو) 1872.

(3) - السولة جبال قرب الطائف.

(4) - السيل اسم طريق يؤدي إلى الطائف.

سرنا إلى وادي النمل، وهو وادٍ عظيم، وعليه مزارع في جوانبه وقرى لبلدته، وهو يشرح خاطر، وفي أوله مسجد، وبعده من الطائف⁽¹⁾ مقدار أربعين أو خمسين دقيقة على الحمير بجد السير.

وثم سرنا إلى جهة المشاة⁽²⁾ ورأينا بئر التقلة⁽³⁾ وبستان عدّاس⁽⁴⁾، ومع البئر مسجد، وهي بئر خالية، وكذلك في البستان مسجد صغير.

وهذا البستان دخله النبي صلى الله عليه وسلم لما آذوه ثقيف أهل الطائف، وأسلم عدّاس فيه على يديه حين جاءه بطبق من عنب من أسياده.

وتفرجنا على بساتين الطائف ووجدنا أفخرها شجرة⁽⁵⁾ إلى أمير مكة الشريف عبد الله [بن عون]⁽¹⁾، والبهجة⁽²⁾ بستان الشريف عبد المطلب، وهما من جنان الدنيا.

(1) - اللطائف في المخطوط.

(2) - أحد أحياء مدينة الطائف.

(3) - بئر التقلة: بئر دائرية واسعة الفوهة محكمة الطي تقع في عسفان على الطريق بين مكة والمدنية على بعد 80 كم من مكة، اشتهرت بعدوية مالها وغزارتها، يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بعسفان، وهو في طريقه إلى مكة المكرمة في غزوة الفتح، فتضبت آبارها، فأشرف على هذه البئر وتقل فيها، ومنذ ذلك الوقت لم ينضب ماؤها وفي الطائف اليوم مسجد وبئر التقلة ويقع في ما يسمى بقرية المشايخ آل أبو حرية.

(4) - هو البستان الذي استراح فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأقيم في موقعه مسجد.

(5) - يقع هذا البستان خارج سور الطائف في الشمال الشرقي منه، وقد بنى فيه بعد سنوات الشريف علي بن عبد الله بن عون باشا واحداً من أهم القصور في الطائف والحجاز، وأشار

والطائف بلدة طيبة شرحة، وفي قوة الحر باردة مثل الشتاء في غيرها، وفي الشتاء يجمد الماء من قوة بردها. وهي قوية، عليها سور وفيها قلعة قوية، وأسماء أبوابها⁽³⁾: الحزم، وباب ابن عباس، وباب الربيع، وفيها باب صغير من القلعة غير الثلاثة⁽⁴⁾ المذكورة.

وأكبر مساجدها مسجد ابن عباس، وفيه تقام الجمعة، ثم من بعده مسجد الهادي في أسفل البلد، وفيه تقام الجمعة أيام الموسم.

وقد أخبرني بعض من له خبرة بتلك الجهات، أن حول الطائف من سائر جهاته الأربع، جملة قرى محتوية على بساتين وأنهار متفجرة، ومزارع وأثمار متنوعة، وكل هذه الثمار ترد إلى مكة المشرفة، فلهذا تجد بمكة دائماً الفواكه في غير أوانها.

قال: ومن جملة الوديان والقرى المذكورة، وادي المثناة، ووادي الوهط، ووادي السلامة، ووادي العقيق، ووادي

محمد حسين هيكل إلى أن رخام القصر قد جلب من إيطاليا، وأن الخشب جلب من تركيا وقد تم بناؤه عام 1325 هـ.

(1) - عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون الحسني [1237 - 1294 هـ / 1821 - 1877م] وهو عم الشريف حسين شريف مكة الذي قاد الثورة العربية عام 1916م.

(2) - البهجة أحد أحياء الطائف اليوم.

(3) - أصبحت أسماء هذه الأبواب أسماء أحياء الآن.

(4) - الثلاثة في المخطوط.

الجال⁽¹⁾، ووادي القيم، ووادي الفرج، ووادي ليّة، ووادي قرن، وغير ذلك مما يشرح الخاطر ويسرّ الناظر.

وتوجهنا منها يوم سابع والسبت من جمادى الأوّل⁽²⁾ إلى مكة المشرفة. فمن يوم خروجنا من مكة إلى يوم رجوعنا شهر كامل.

[جدة]

ثم سافرنا من مكة المشرفة ليلة اثنتي عشرة والجمعة من جمادى الأوّل⁽³⁾ من السنة المذكورة إلى جدة، فدخلناها يوم السبت بعد طلوع الشمس، وفي يوم الأحد زرنا قبر أمنا حوى وطوله أربعون باعاً على قولهم، وفي الاعتبار كما قالوا أن لم يزد لم ينقص، وفي وسطه قبّة قيل إنها على سرتها.

ثم ركبنا البحر وسافرنا يوم خمسة عشر والإثنين⁽⁴⁾، في الساعة الأولى من النهار، في بابور⁽⁵⁾ الدّولة العثمانية المسمّى درابزان أبو دقلين⁽⁶⁾، طوله مايتا وثمانون فوت⁽¹⁾ واسم

(1) - الآن يوجد حي في الطائف باسم حي الجال.

(2) - السبت 13 تموز 1872م.

(3) - ليل الخميس 18 تموز 1872م.

(4) - الاثنين 22 تموز 1872م.

(5) - بابور كلمة لاتينية تعني البخار وقد أطلقت أصلاً على المراكب البخارية، وكانت تستخدم في اللهجات العربية بمعنى المركب، السفينة، ومن ثم القطار، وأخيراً موقد الكاز.

(6) - درابزون أو طرابزون مدينة في شرق تركيا، ودقلين مثى دقل وهو صاري السفينة، أي العمود الذي ترفع عليه الأشرعة عند الإبحار، وكان السفن القديمة في

قبطانه ديوان بابا، ويوم الثامن عشر والخميس⁽²⁾ أصبحنا مقابلين جبل طور سينا⁽³⁾، وأمسينا آخر بركة فرعون⁽⁴⁾، وصباح التاسع عشر والجمعة⁽⁵⁾ في ساعة ونصف من النهار وصلنا إلى السويس. وكرتونا⁽⁶⁾ أربعة وعشرين ساعة، ونزلنا يوم السبت بعد تمام مدة الكرنيتينة، وصارت علينا من المشقة لا نهاية لها من الزحام، لأن المركب فيه جملة خلق من عسكر وغيرهم، حتى الشتري مغلق فيه نسوان، ونحن جملتنا خمسة أنفار نولنا⁽⁷⁾ ستون ريالاً.

ونزلنا بالسويس عند الجودي⁽⁸⁾ وهو جودي فاخر، ورأينا ما حوله من البناء والآلات ما لا يتوصف، ومسافته عن البلد مقدار نصف ساعة على البهايم. وسافرنا من السويس في

الخليج العربي تستخدم خشب النخيل في صنع الصاري، ومن هنا أتت تسمية الدقل أي النخيل، والدقلة هي النخلة.

(1) - قدم، وهو مقياس ما يزال يستخدم في الخليج العربي بهذا الاسم وطوله 31.3 سم.

(2) - 25 تموز 1872م.

(3) - الطور كلمة آرامية تعني الجبل.

(4) - المكان المفترض لفرق الفرعون عندما تبع النبي موسى عم.

(5) - 26 تموز 1872م.

(6) - من عبارة كرنيتينا الفرنسية (Quarantaine) التي تعني الحجر الصحي، أي حجروا علينا صحياً مدة 24 ساعة.

(7) - ثمن ركوبنا.

(8) - كناية عن مرسى السفينة، وهو بالأصل مأخوذ من القرآن الكريم ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾، هود، 44.

بابور الدخان⁽¹⁾ على البر يوم واحد وعشرين والأحد⁽²⁾ بعد
ساعة وعشرين دقيقة من النهار.

(1) - المركبة البخارية البرية وهي القطار.

(2) - 28 تموز 1872م.

الباب الثاني

في ذكر مصر وعجايبها

ووصلنا مصر⁽¹⁾ الساعة أحد عشر إلا عشرين دقيقة في يومه، وكان قد وقف بنا في خمسة عشر موضعاً لأجل استراحة وقضاء حوائج منها رجوعه إلى بلد تسمى إسماعيلية⁽²⁾ مرسى المراكب التي تمرّ في البحر الجديد⁽³⁾، وتركنا مدّة الإقامات، فكان باقي مسيرنا من ذلك كله، من السويس إلى مصر ست ساعات وعشرين دقيقة، وكان في سابق الأمر على الجمال مسير ثلاثة أيام بجمال أهل مصر، لأنها في السير أسرع من جمال الحجاز. والنهر من النيل والبحر الجديد سايرنا من السويس إلى الإسماعيلية والسلك⁽⁴⁾ كذلك يسايرنا من جانبيين، وذلك مقدار نصف الطريق. الغاية إنها مقابلة لتاسع محطة. ثم انقطع عنا البحر الجديد والسلك من جانب واحد، وسار البحر إلى جانب آخر،

(1) - المقصود بمصر مدينة القاهرة.

(2) - بنيت مدينة الاسماعيلية 1863 حول بحيرة التمساح لكي تكون مركزاً لشركة

قناة السويس العالمية للملاحة في عهد الخديوي إسماعيل.

(3) - لعل المقصود قناة السويس.

(4) - هو التلفراف السلكي.

إلى بنط سعيد⁽¹⁾ وبقي معنا النهر الحالي والسلك من جانب واحد يسايرنا إلى مصر.

وعند وصولنا إلى وادي مصر، وهو معقل العسكر، بعده عن البلد سبع محطّات، كلّها عمار من مزارع ونخيل وأشجار. وتفرّع النهر في مواضع شتى يسمونها الترع⁽²⁾، منها ترعة إلى السويس تمر منها المراكب عند الجودي، منها ترعة إلى الإسكندرية وترعه لشق مصر، وكلها من بحر النيل الكبير وتقاربه في سائر أرض مصر من سائر البلدان. وجميع هذه الترع تجري فيها السفن من كبار وصغار ويأكلون من حيتانها⁽³⁾.

الحاصل، أنا رأينا شيئاً عظيماً لا يتوصف، والسويس بلدة صغيرة، ولا عليها سور، ولا فيها شيء من القلاع، غير البوابير الحربية في مرساها، وفيها محكمة منظمة متكلّفة بلك⁽⁴⁾ وخمسين ألف ريال، هكذا بلغنا، وليست بلدة مزارع، إنما يجيء إليها أصناف الفواكه والمأكولات من مصر وغيرها.

(1) - أي مدينة بور سعيد وبنط التي يذكرها السيد حمود على الأرجح تحوير للكلمة الانكليزية بورت.

(2) - التربة لغة هي الباب أو المدخل، وهي هنا بمعنى القنوات أو المداخل المائية الصناعية.

(3) - هي الأسماك وليس الحيتان المعروفة، وتستخدم في المغرب العربي بهذا المعنى أيضاً.

(4) - اللك (lakh) مصطلح هندي خاص للعدد 100 ألف.

وأما العجايب في مصر: وما سميت مصر إلا وهي مصر
كما قالوا، فيها من البساتين ما يبهر العقول كثرة، حتى في
بعض الأماكن يمشي البابور ما بين الأشجار والأنهار.

[المطبعة]

وتفرّجنا على كارخانة⁽¹⁾ طبع الكتب، والذي يصحّح في
الكتب في المطبعة عشرة من العلماء.

وكذلك تفرّجنا على كارخانة عمل القرطاس⁽²⁾، وهي
تعمل أصنافاً من القرطاس، وهو يعمل من الخرق البالية
والجواني وورق الموز، وأما طبع الكتب فهو على نوعين: نوع
بالحجر ونوع بالرصّاص.

وتفرّجنا على كارخانة السرج⁽³⁾ التي تشتغل منها المسارج
في البيوت والطرقات.

[المتحف]

الحاصل أن الذي رأينا في هذه الكارخانات، شيء لا
يتوصف، ودخلنا بيت الفرجة، وهو بمحلّ يقال له بولاق⁽⁴⁾

(1) - كارخانة أي مكان المهنة، وهنا معناها المطبعة.

(2) - معمل الورق.

(3) - معمل السرج.

(4) - كان اسمه متحف بولاق وأصبح اسمه اليوم المتحف المصري، وبولاق أحد أحياء
القاهرة المريقة.

وهم يسمّونه الأنتيكة⁽¹⁾ ومعناه العمل القديم، ورأينا فيه صور الفراعنة وغيرهم، وحليهم السابقة من ذهب وفضة وبعض من حوايجهم وأسبابهم وسائر صنائعهم. وفيهم أموات على حالهم في صناديق، شيء من تاريخ ثلاثة آلاف سنة وثمانماية سنة. تواريخهم مكتوبة عليهم وهم أخرجوهم النصارى⁽²⁾ من الأرض، منهم مخرّج في زمن محمد علي باشا، ومنهم من بعده. أصلها مقابر قديمة بمصر، يحفرونها ويخرجوا منها صور المتقدمين وأمواتهم وحوائجهم، هكذا أخبرونا والله أعلم. وفيهم صور هايله موحشة⁽³⁾ شيء منها يقارب سبعة أذرع طولها وأزيد، والجرم على قدر الطول، وشيء من الأموات بأكفانهم، وشيء من كسوتهم كذلك باقيه لم تتغيّر، وشيء منهم له صورة مزعجة، وجهه كالآدمي وسائر جسده كالأسد⁽⁴⁾، وغرايب لا تحصى يختار فيها اللبيب، وبهاها الطبيب، وهي شكل غريب.

وتفرّجنا على نيل مصر الكبير وما فيه من المراكب والسفن، ورأينا مجاري الترع منه إلى باقي البلدان من السويس وغيرها، والسفن الجارية فيها تحمل شجر وخضرة

(1) - كلمة فرنسية مأخوذة أصلاً من العربية معناها العتيق.

(2) - أي الأوربيون.

(3) - التماثيل الفرعونية.

(4) - لعله يتحدث عن إحدى النسخ الصغيرة لتمثال أبي الهول.

وفواكه وجبوب وغير ذلك من مهمات العالم، إلى ساير الجهات.

وكلّ هذه الفرجة ببولاق، وهي حارة من حواير مصر مشهورة، والآن هم باذلين الجهد في حفر ترعه إلى السويس غير الأولى للمراكب الصغار، ورأينا القناطر الصغار، ورأينا القناطر الدورانية على النيل.

[الجزيرة]

ورأينا الموضع المسمّى الإسماعيلية الذي يعمره إسماعيل باشا بمصر بالقرب من بولاق في محلّ يقال له الجزيرة⁽¹⁾، وبما فيه من البناء الفاخر، ورأينا بستانه المسمّى الجنينة، وبما فيه من القنب المزخرفة والأنهار الجارية والأشجار المظلة الدانية، والجبل المصور، والماء ينحدر من أعلاه إلى بحيرة في وسط البستان، وعليها القناديل دايرة على صفة بيض النعام، وكلّها تسرج في يوم الزينة بالجاز والجاز⁽²⁾ حلّ الولاية.

وفي وسطها قبة صغيرة وفيه من الأشجار الفاخرة ما لا نهاية، وفيه قبة مخصوصة لضرب المزيقة⁽³⁾ وهي آلة الطرب الإفريقية، وكذلك باقي القنب بها أنواع من الآلات الملّهيّة،

(1) - أحد المواقع السياحية في القاهرة.

(2) - الجاز أو الكاز أو القاز أحد مشتقات البترول. وقد اكتشف البترول عام 1859م، واستخدمت مشتقاته في تشغيل لمبات ومصابيح الإضاءة في ذلك الوقت.

(3) - آلة موسيقية لم نستطع تحديدها قد تكون البيانو، لأن الفونو غراف لم يكن قد اخترع بعد إذ تم اختراعه عام 1877.

وفيهن من القناديل والسرّج ما لا نهاية. وعلى الأنهار والأشجار من القناديل بالقاز^(١).

ويصير فيه مجمع كبير في الأسبوع مرتين، لأنه مجعول للفرجه. مما يؤدي لكل متدين بدينه أن ينكر.

[الجامع الأزهر]

ورأينا الجامع الأزهر وهو مقر العلماء والمتعلمين، لأنه جامع كبير وفيه مواضع ومحارِب جملة، ومدارس وخلوات للمتعلمين. ومن جملة المحارِب محراب في وسطه ما بين العواميد، وعواميده كلها حجر رخام.

والذي [الذين] وافقناهم فيه من المتعلمين وغيرهم بقدر ثلاثماية إلى أربعماية، وذلك في غير وقت الصلوة عند الإشراف، وفيه جملة علماء يدرّسون في حلقات عديدة، يُسمع لهم دوي عظيم، وأخبرونا أن الذي [الذين] رأيناهم أناساً قلّة، أكثرهم في هذه الأيام ساروا إلى زيارة الشيخ البدوي معهم اجتماع عظيم في هذه الأيام.

وجميع المتعلمين في هذا المسجد لهم جوايز من الدولة^(٢).
الحاصل أنه مسجد عظيم، وفيه خلق كثير، وفيه من صناديق الكتب شيء كثير، في التحريّ بقدر مايتين [مائتي] صندوق

(١) - صيغة أخرى للجاز.

(٢) - قد يكون المعنى هنا إجازات أي شهادات تخرج، وليس جوائز بمعنى هدايا.

زايد قاصر. والحاصل أننا لا نقدر نَصِفُ ما رأيناه كُلَّه بل بعضه.

ثم زرنا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب «عم»، يذكروا [يذكرون]⁽¹⁾ أنه جاء به رجل من ملوك مصر بعد موت يزيد بن معاوية، وعليه قبة عظيمة وبها مسجد عظيم.

وزرنا الإمام الشافعي، والسيدة نفيسة، والسيدة سكيئة بنت الحسين، والسيدة زينب بنت سيدنا علي ابن أبي طالب، وهذا المزارات كلها عليها قبب صغار، وفي الوسط قبة كبيرة، وفيها من النقوشات بالذهب وغيره ما لا يوصف، وبجانبه عن يمين الداخل إليه قبره، وهو في بطن القلعة على جبل، وحوله البستان، وفيه موضع للنزهة شيء لا يتوصف. وإذا كنت بجانب المسجد تكشف مدينة مصر كلها، في هذا المسجد من ثريات وقناديل وفرش ما لا يوصف، والماء صاعد للمسجد والجبل.

وكذلك القلعة كلها على الجبل، كاشفه على مصر الجديدة والقديمة، وفيها بنيان من باب إلى باب، وكل باب عليه عساكر وفيها جملة بيوت. الحاصل أنها حلة تامة، وجواري الخيل تطلع عليها من غير مشقة. ونظرنا البلد كلها من القلعة فوجدناها بلدة عظيمة على الوصف وزيادة، فزنجبار كلها مع البيوت التي في الخطو

(1) - من الآن فصاعداً سوف نكتب يذكروا في النص يذكرون.

الجميع تجي ثمن مصر أو ما تجي قياساً. الحاصل أنها بلد
يكلّ البليغ عن وصفها، وليس الخبر كالعيان

ورأينا بيت فرعون موسى وهو قد خرب، بل باقي شيء
من حيطانه، وموضع جلوسه للبروز للعالم، في دكة مرتفعة
علوها من الأرض بناءً نحو مقدار عشرين قياساً في التحري.
وأخبرنا شيخ من شيوخ الجامع الأزهر، أن جملة علماء
الجامع الأزهر مايتين، وتلامذتهم خمسة آلاف وثمانماية،
الجملة ستة آلاف نفر الذي [الذين] لهم الجائزة من الدولة
المصرية ومكتوبين في دفترهم.

وعند الدروس، يمتلي المسجد الأزهر المتقدم خبره كله مع
الأماكن التي حوله، حتى لا يقدر واحد يجوز في وسطه من
كثرة الخلق، لاصقين بعضهم ببعض. وأخبرني غير الشيخ
المذكور بذلك كما أخبرني الشيخ، تصديقاً لقوله.

[جنازهم]

وأخبرونا عن قبور أهل مصر، يجعلون سراديباً في الأرض
ويبنونها ويصلحونها بالنورة⁽¹⁾، ويجعلون على أبوابها الحجر
المنحوت، وإذا مات لهم ميت كشفوا الحجر وأدخلوه، وتجتمع
أموات كثيرة في كل سرداب، وطوارق⁽²⁾ النساء يزينوها

(1) - النورة هي مادة بناء تستخدم في صنع أنواع من الملاط والشيد والطلاء. النورة
مادة كيميائية (هايدروكسيد الكالسيوم) قلوية بشكل مسحوق أبيض اللون.

(2) - المراء "الطارقة" هي الضاربة بالحصى للتكهن.

ويجعلون على رأس الميتة عوداً متسماً بالنعش، وفيه شعر يزينوه بالحلي، ويعلقون في الشعر مشاخص الذهب وزينة النساء. رأيناهم مارين بطارقه على هذه الصفة، وأخبرونا بذلك.

وعندهم تخرج النساء خلف الجنائز يكون الرجال قدام الطارقة والنساء خلفها. وطوارقهم بخلاف طوارقنا يحملها ثلاثة أنفار، اثنان قدام وواحد خلفها، والنساء نايات خلف الجنائز مخالفين السنة.

وأيضاً، دخلنا بيت النزهة الذي في بستان القلعة، وهو مزخرف بالانهاية، وفيه ديوان المناصب، إذا تولى حاكم يقعد فيه للتهنية، وكذلك في أيام الأعياد يقعد فيه والي مصر، وفيه مواضع، إذا دخلت موضعاً تراه أحسن من الآخر، وفيه حمام.

الحاصل أنه محل مملكة، وقد بلغنا أن السلطان عبد العزيز لما قدم سنة 1283 [هجرياً]⁽¹⁾ إلى مصر، نزل فيه. ورأينا ضرب خانة القروش⁽²⁾ في القلعة، وكذلك سجن النبي يوسف عليه السلام⁽³⁾، وهي بئر كبيرة وعميقة في

(1) - 1866م.

(2) - دار سك العملة.

(3) - يفترض أن مدينة القاهرة الحالية لم تكن موقع حكام مصر الفراعنة، وموقع القلعة التي يقال إن سجن النبي يوسف كان فيه، إنما هو في القاهرة التي بنيت في العصور الإسلامية، أما عواصم الفراعنة فكانت طيبة في أقصى جنوب مصر عند

القلعة، ونزلنا إلى بعضها ورأينا الموضع الذي كان يجلس فيه النبي يوسف عليه السلام، وهو في جانب من البئر وطريقها مظلمة، ينزلها بالمشاميع، وهم يجذبون الماء منها للقلعة على رأسين من الخيل، لأنها بئر عظيمة هائلة وماؤها عذب. وفي بستان القلعة المذكور بركة عليها صور أسباع يخرج الماء من أفواهها ومن وسطها، كذلك يخرج الماء كمثل الشجرة.

وجواري الدخان⁽¹⁾ في بر مصر كثيرة متفرقة في بلدان شتى، وكذلك السواعي⁽²⁾ من كبار وصغار شيء كثير، لا تحصى ولا تعد، حيثما سرنا وجدناهم في الشط بنفسه وفي فروعه، تحمل الأمتعة إلى مصر وباقي البلدان. ومن العجائب أننا رأينا أناساً في بر مصر عراة مثل البهايم⁽³⁾، وهم مع الناس ولا أحد ينكر عليهم، كيوم ولدتهم أمهاتهم، والبهايم معهم كثيرة من كل صنف، ورأيناهم يركبون على الجاموس.

[وسائل النقل]

وأكثر أحمالهم على الجمال والسواعي والبوابير، والبابور الواحد يجر إلى مائة عربية محملة أثقال كثيرة من أموال،

الاقصر، ومنف عاصمة المملكة المتحدة على بعد 3 كيلو من شاطئ النيل الأيسر وحوالي 25 كم جنوب القاهرة في محافظة الجيزة.

(1) - المراكب البخارية.

(2) - مصطلح لأهل الجزيرة العربية يعني المراكب الخشبية.

(3) - قد يكون هؤلاء من هواة السباحة.

وحَيوان من خيل، وغيرها المخصصة للركاب لم تقطر شيء، وربما تأخذ نصف مقدار سيرها، الساعة بنصف ساعة. وقد ركبنا في المقطورات، وهن مثل الطير الذي يقف مع الجاري، لم تُعرف صورته من قوة السير، مرّ علينا طيران ولم يقدرنا يجاوزنه من قوة جريانه.

وشط النيل ينفد في دمياط ورشيد واسكندرية والسويس، هكذا أخبرونا، ويذكروا أن كل سنة في يوم النصف من شعبان يفترق البحران بقدر مذبج جزور⁽¹⁾، ويذبجون له جاموسة بين البحرين، وتلتئم بقدرة الله تعالى، والله أعلم. «...»⁽²⁾ مصر يذكروا كل يوم لكن⁽³⁾ ريال، والذي تسيّر اسطنبول في كل سنة لكّ، وثلاثين ألف كيس، والكيس خمسة بون ذهب، والبون عن خمسة أريل. هكذا أخبرنا شيخ التجار وغيره عن المدخول وفرق البحر.

وبلد مصر بنفسها وخيمة، هواها [هواؤها] غير محمود، وهي بلد قديمة فيها جملة بيوت قُدام وخرابات، والآن يعمرونها ثانية، بيوت كبار فاخرة على صفة بيوت النصراري⁽⁴⁾، وقد عمروا منها قليل، وكل يوم في زيادة عمار.

(1) - الجزور هو البعير ذكراً كان أن أنثى.

(2) - فراغ في الأصل.

(3) - أي 200 ألف ريال.

(4) - على الطراز الأوروبي الحديث، ولعل المقصود هنا القاهرة الاسماعيلية التي بناها إسماعيل باشا وتشكل وسط البلد الآن.

وأخبرنا شيخ التجار وغيره عن بلد مصر، أن طولها ثمانمئة أميال وعرضها أربعة، وهذا غير العمارة الجديدة، وربما أنه يقارب النصيفه.

[إلى بهنسا]

ويوم خمسة وعشرين والخميس من جمادى الأول⁽¹⁾، سافرنا إلى البهنساء⁽²⁾ إلى زيارة الشهداء، وأخذنا من البيت إلى خارج البلد عند مواضع جوارى الدخان ساعة وعشرين دقيقة، راكبين في عريّة [عريّة] برأسين [براسي] خيل، وركبنا في بابور البر [القطار] إلى بلد تسمى مفاغة⁽³⁾، وأخذنا في الطريق خمس ساعات وخمس دقائق، الذي [التي] هي يمشي فيها البابور، غير مدة الإقامة.

ومن مصر إلى مفاغة سبع مقامات، ومنها ركبنا إلى أرض البهنساء على خيل أخذنا ساعات، هذا كله مشي غير مدة الإقامة.

ومن مصر إلى البهنساء كله عمار بلدان جملة، لا تعد ولا تحصى، وكلها مزارع من سكر وبر⁽⁴⁾ وبقولات وغير ذلك،

(1) - 1 آب 1872م.

(2) - بلدة من الصعيد الأعلى.

(3) - مفاغة هي أحد مدن ومراكز محافظة المنيا بمصر. أول مركز لمحافظة المنيا من ناحية الشمال. وتقع على الضفة الغربية للنيل، وتبعد عن القاهرة 186 كم.

(4) - البر هو القمح.

وفيهما نخيل جملة، والنيل معنا إلى البهتساء. وعَبَرْنَا نحن وخيلنا فِي سفينة والسلك مَعْنَا إلى مغاغة وصار عنا إلى موضع آخر. والمراكب والسفن الكبار معنا إلى مغاغة، وكذلك فروع الشط فيها سفن صغار، والنيل له فروع شتى لا تحصى ولا تعد حيثما سرنا هن معنا.

والذي عبرناه فِي السفينة هو نهر يوسف عليه السلام، وهو فرع من النيل، وهذه المزارع التي رأيناها يعمّها الماء عند امتلاء الشط فِي كل سنة، لا يبقى منها شيء غير محلّ البيوت خاصة، ويتعبّروا فِي سفن صغار من بلاد إلى بلاد، وهذه المزارع حدّ ما يلقي نظره الإنسان لا يرى أقصاها، ربما أنها مسير أشهر، وهي صحن واحد ما فيها مكان مرتفع غير مواضع البيوت والنخيل، وفيها جملة شجر.

وَفِي بعض الطرقات يعملون جسوراً ويمشون عليها وهي دكاك⁽¹⁾ من تراب مرتفعة، ممتدة من بلد إلى بلد بغير بناء، وهذه المزارع ثلاثة أصناف: صنف منها يسقيه الشط فِي الحول مرة. وصنف منها يسقوه من فروع الشط متى أرادوا. وصنف منها يسقوه على البهايم من الشط.

وفيهما معاصر جملة [كثيرة]، دخان وغيره، ويحصل منها خير كثير، وأخبرنا رجل اسمه علي آغا [كان] سلحدار⁽²⁾ المرحوم

(1) - الجدران أو الأبنية المصنوعة من التراب المدكوك.

(2) - رتبة عسكرية.

الشريف محمد ابن عون⁽¹⁾، والآن هو القايم على الأراضي التي بتلك الجهات في حدوده من أرض البهنساء، أنه باع تبين البر سبعمائة وخمسين بون، واليون خمسة أريل عن ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين ريال. فإذا كان إنسان واحد يبيع من التبن بهذا المقدار فكم من غيره وكم، وكم مثله وأشكل منه فالملك لله الواحد القهار. رأينا شيئاً لا يقاس ولا يكيف ولا تسعه العقول، ورأينا بروج بينوها للحمام مثلما رأينا، ويذكروا أنهم يبيعوا [يبيعون] من روثها بمقدار في كل شهر يبلغ ألف ريال وذلك الزراع.

فلما وصلنا البهنساء زرنا الشهداء بفضل الله وكرمه، ورأينا موضع القتال ومسجد الصحابة، وهو لم يبق إلا أثره، ورأينا بير المسلمين، حيثما استشهدن نساء المسلمين، ورأينا موضع كلب الروم على كثيب عالي حيثما كان يحرض أصحابه على القتال، ورأيت في ذلك الموضع جماجم على حالها، ما متغيرة بشعورها، يذكرون أنها جماجم المسلمين متواريه بالأحجار.

والشهداء المعروفون عليهم قبب، كل جماعة في قبة، والذي [الذين] غير معروفة أسماؤهم عليهم علامات من الحجارة، ويذكرون الوادي كله مألن من القتلى، وجاعلين علامة بين قتلى المسلمين وقتلى المشركين حجر على طول محل الوقائع التي صارت، وهو وادي متسع.

(1) - هو والد الشريف عبد الله شريف مكة أثناء مجريات الرحلة.

ورأينا موضع الكنيسة وشيء من آثارها من الحجر
الرخام، والبلد على نهر يوسف «عم»، والنهر يجري بوسط
البلد وهي قديمة كلها خراب، بيوتها مدققة وأما حدودها
على ما رأيناه لا باقى من الأسوار والقلاع شيء، والآن في أكبر
الخراب.

وليس بها كثرة سكان، وفيها مساجد قديمة، واحد منذ
سبعماية سنة، وواحد له فوق ألف سنة، وهو على النهر وقد
خرب والآن عمروه ثانياً.

وفي رجوعنا من البهنساء زرنا سيدنا أبا هريرة وولده،
وهم في مصر عند كباينة البابور عند المسجد. ومن مصر إلى
البهنساء كانوا يسيرون إليه على الجمال في أربعة أيام بجد
السير.

[تزيين القاهرة]

ولما رجعنا إلى مصر رأيناهم يزينا [يزينون] البلد لأجل
قدوم إسماعيل باشا والي مصر من اسطنبول، ويذكرون
تتكلف هذه الزينة على أهل البلد بلك⁽¹⁾ [جنيه] عن خمسة
لك ريال حتى أن أحدهم أجر إنساناً لزينة بيته ستة آلاف
جنيه]، هذا واحد من عالم وكم غيره.

(1) - اي 100 ألف جنيه.

الحاصل أنه شيء مفرط، من الجملة يؤجّرون جارية⁽¹⁾
تغني بثلاثمائة [بثلاثمئة] ريال الليلة الواحدة.
وقل على تلغراف، وهو السلك الموصل الأخبار من جهة
إلى جهة وكيف يصنعون به، وذلك في طريق البهنا.

[الأهرام]

ورأينا أهرام مصر، وهي من عجائب الدنيا، وأعجبها
الهرمان القريبان لمصر، المنسوبان لشداد بن عاد⁽²⁾، وقد رأينا
في بعض التواريخ أن الذي بناها هو سوريد⁽³⁾ أحد ملوك
مصر قبل الطوفان بثلاثمائة [بثلاثمئة] عام، لأنه كان رأى في
مناحه كأنّ الأرض انقلب بأهلها، وكان الناس قد هربوا على
وجوههم، وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضاً
بأصوات هائلة. فأهمه ذلك ولم يذكره لأحد، وعلم أنه
سيحدث أمر عظيم.

ثم رأى بعد ذلك في الليلة الثالثة بأن الكواكب الثابتة
نزلت إلى الأرض في صورة طيور بيض، وكأنها تخطف الناس

(1) - من الواضح أن المقصود هنا بالجارية ليس المغنية بل المركب الذي يحمل فرقة
موسيقية، وهذا ما سيتضح في فقرة القادمة حول الزينة في الاسكندرية.

(2) - حسب روايات الإخباريين العرب فإن اسمه شداد بن عاد بن ملطاط بن جشم بن
عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو ملك عاد
الثانية.

(3) - هو سوريد بن سهلوق، ويرد اسمه في كتب الإخباريين العرب نقلاً عن مصادر
قبطية قديمة.

وتلقيهم بين جبلين عظيمين، وكأن الكواكب المنيرة مظلمة
مكسوفة، فانتبه بعد ذلك فزعاً مرعوباً، فأمر بعد ذلك بعمل
الأهرام.

ولما شرعَ في بنائها أمر بقطع الأسطوانات العظام،
واستخرج الرصاص من أرض المغرب، واحضار الصخور من
ناحية أسوان فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة [الثلاثة] الشرقي
والغربي والملون⁽¹⁾. وكانوا يمدّون البلاطة ويثقبوها ويجعلوا
بوسطها قضيباً من حديد قائماً، ويركّبون عليها بلاطة أخرى
مثقوبة، ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في
القضيب حول البلاطة إلى أن كملت.

وجعل كل ارتفاع من الأهرام مائة ذراع ملكي، والذراع
الملكى خمسة أذرع بذراعنا الآن. وجعل طول كل واحد من
جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل.

فلما فرغ من بنائها كساها ديباجاً ملوناً من أسفلها إلى
أعلىها، وأنشد بعضهم:

خليلي ما تحت السما من بنية تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناءً يخاف الدهر منه وكلما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
وذكر القبط في كتبهم أن عليها كتابة منقوشة، تفسيرها
بالعربية أنا سوريد الملك بنيت هذه الأهرام في سنة كذا وكذا،

(1) - يرى عالم الفضاء المصري الدكتور فاروق الباز أن الأهرامات كانت ملونة وعليها
كتابات مصرية قديمة، والطبقة اللونية كانت تقوم على طبقة كلسية بقي منها تاج
واحد فقط على أحد الأهرامات حتى الآن، وهذه الإشارة تؤكد نظرية الدكتور الباز.

وأتممت بناءها في ست سنين، فمن أتى بعدي وزعم أنه ملك
فليهدمها في ستمائة سنة. وقد علم أن الهدم أهون من البناء،
وأنا كسوتها الديباج فليكسها الحصر⁽¹⁾.

[الاسكندرية]

ثم سافرنا من مصر إلى الإسكندرية يوم تسعة وعشرين
والاثنين من جمادى الأول سنة تسعة وثمانين ومايتين وألف⁽²⁾
في ثلاث ساعات إلا ربع من يومنا هذا المذكور، ركبنا في بابور
البر، فوصلنا إلى الإسكندرية في تسع ساعات وخمس دقائق
من يومنا المذكور، ووقف بنا البابور في تسع مواضع مدة
الإقامة من ذلك ساعة وعشر دقائق يصير المشي ثمان
ساعات إلا خمس دقائق.

ويذكرون أن سابقاً كان السفر على الجمال من مصر إلى
الإسكندرية في ستة أيام. ومن مصر إلى الإسكندرية كله عمار
بلدان ويساتين ومزارع، والنهر والسلك معنا من جانبيين،
وقرب إسكندرية بنصف ساعة سايرنا البحر المالح، ومشينا
في أرض الملح والنهر والزرايع والبساتين دارت عنا في جانب،
والبحر في الجانب الثاني.

(1) - هذا الاقتباس مأخوذ بنصه تقريباً من كتاب "أخبار الزمان" للمسعودي، راجع
الصفحات من 160-164 من طبعة دار الأندلس، بيروت، 1966م.

(2) - 5 آب 1872م.

وجميع المواضع التي تقف عليها البوابير كلها بلدان وفيها ما يؤكل من فواكه وغيرها، فلا يحتاج المسافر لطبخ ونفيخ، ولا إلى حمل زاد، وذلك من جميع أرض مصر حيثما تصل البوابير برأ أو بحراً.

والمراكب والسواقي الصفار متفرقة في النهر من مصر إلى الإسكندرية، وكذلك بساتينهم وزروعهم سقيها على ثلاثة أصناف كما تقدّم ذكرها.

وحدّ ما وصلناه من مصر كله عمار، ما فيه شيء خراب، وعند وصولنا الإسكندرية رأيناها مزينة لأجل وصول إسماعيل باشا من اسطنبول كما تقدم، وزينتها بشيء عظيم لا يوصف، ويذكرون أن الزينة تتكلف عليهم بمبلغ عظيم أكثر من مصر والله أعلم بذلك، وفيها من جواري الدخان المزينة ما هو في غاية الحسن، وكذلك جواري الخيل [العربات] مزخرفة أحسن من الذي رأينا في مصر .

وهي بلد منظمة نظيفة وغالب طرقها منصوبة متسعة مفروشة بالحجارة، وماء النهر يعلو إلى أعلى طبقة من البيوت، وأغلب بيوتها منظمة في أحسن التنظيم.

وهي بلد متوسطة، وفيها بساتين فاخرة وبيوت في البساتين على أشكال لطيفة مساية النهر، وعلى النهر أشجار. تمرّ الجواري بين البساتين والنهر في ظل الشجر حد ما رأينا من المسافة على هذه الصفة. وعليها سور وخندق

عظيم من جانب البر، وعلى السور قلاع وفي وسطها قلعة مدورة.

الحاصل أنها بلد منيعة، وكثير منظومة ما لا نهاية، والبساتين المذكورة خارجة عن السور، وفي وسطها بعض البساتين الصغار، ورأينا الجواري وموضع ما يوشروا المراكب، وهم عمال في الخدمة، ووصلنا إلى الرأس، وهو موضع العسكر وهم يسمونه رأس التين، وبه سراية⁽¹⁾ عظيمه لجلوس والي مصر إذا قدم إليها، وفيها بعض البساتين الصغار للفرجة، وفيها بركة ماء ينصب من أعلاها، وصور آدميين يغتسلون. وعلى البركة أشجار.

الحاصل أنها بلد ما عليها قصور، يعجز الواصف عن وصفها، وفيها فريضة عظيمة متسعة بها مواضع كثيرة. والبندر فيه من المراكب الكبار والصغار والسواحي شيء كثير، وفيها مساجد منظمة، بل أنها ليست كمساجد مصر. وأما سكانها فأغلبهم نصارى ويهود، والمسلمين بها قليل بالنسبة إلى من سواهم.

وهواها [هواؤها] معتدل أحسن من هواء مصر [القاهرة].
وزرنا نبي الله دانيال عليه السلام والإسكندر ذا القرنين، وقبورهم نازلة في الأرض بدرج ينزل إليها من أراد الزيارة.

(1) - بمعنى قصر.

[الموالد في طنطا]

وفي ما بين مصر والإسكندرية بلد تسمى طنطا⁽¹⁾ بها مقام الشيخ أحمد البدوي يعملون له في كل سنة ثلاث موالد كبار، منها المولد الرجبي بشهر رجب، والمولد الكبير عند طلوع «...»⁽²⁾ والمولد الصغير في شهر شوال. ويذكرون أنه في كل مولد ينتظم سوق عظيم. مدة المولد خمسة عشر يوماً يأتون الزوار من ساير أقطار مصر⁽³⁾ جميعاً، ويقدمون التجار من الشام والروم⁽⁴⁾، وغيرها من ساير أجناس الأمم، ويصير موسم وبيع وشراء وأصناف التحف والأقمشة واللعبات وغيرها، وأهل الأذكار، والناس أفواجا من كل فجّ.

أخبرونا أن اجتماع الخلائق في المولد الكبير يقارب عددهم كالاتّتماع بمنى وأيام التشريق، ويذكرون أن الشيخ أحمد البدوي صاحب هذا المولد كان حياً في القرن السادس ثم ظهرت له جملة كرامات مذكورة في كتب، وشهيرة على ألسنتهم، حتى أنه كان يخطف الأسراء [الأسرى] من بلاد الإفرنج، فلهذا تجدهم يعتقدون أنه من أولياء الله. ولم نر هذه البلد إلا بالمرور عليها، ولم ندخلها غير بخبر بعض الناس

(1) - تقع طنطا في وسط دلتا نهر النيل وهي عاصمة محافظة الغربية

(2) - فراغ في الأصل.

(3) - مصر هنا بمعنى الدولة.

(4) - تركيا الحالية.

لنا أنها مربّعة بالشكل، لطيفة الهواء بها أصناف التجارات، وأبنيتها ناهية، وبحر النيل في وسطها، وهي منتظمة والله تعالى أعلم. وهي من جملة المحطّات الذي يقف عليها البابور. والفواكه في الإسكندرية أكثر من مصر وأحسن، وأما الزينة التي يعملونها في مصر والإسكندرية ليس هو باختيارهم، بل جبراً عليهم، هكذا بلّغنا، والحدّ الذي بين أرض الشام ومصر اسمه العريش.

وبندر إسكندرية حصين داير البلد عليه من ثلاثة جوانب، ورأينا فيها جودي الحديد ينزلوه في البحر ويدخلون المراكب في وسطه ثم يرفعوه والمركب في جوفه. هكذا أخبرونا.

وبلغنا أن سكان بلد مصر، ذات المدينة، تسعة لك نفر⁽¹⁾، والإسكندرية ثلاثة لك نفر، الذين هم في هاتين البلد خاصة، غير ساير الإقليم والله أعلم.

ورأيناهم يجمعون حجراً منحوتاً على بندر إسكندرية مرادهم يحصّونه زيادة.

ثم سافرنا من الإسكندرية يوم رابع والجمعة من شهر جمادى الآخر⁽²⁾ في أربع ساعات وربع من النهار في مركب للنيمسا، وهو كثير منظم في غاية الحسن، وهو دخان⁽³⁾ بو

(1) - أي 900 ألف نسمة.

(2) - 9 آب 1872م.

(3) - أي مركب بخاري.

دقلين، وفيه شرخان للسكان، واحد في التفر⁽¹⁾ والثاني قرب الدقل القدامي، فوصلنا بنط سعيد يوم ثاني بعد طلوع الشمس بأربعين دقيقة، وهي بلدة مستجدة صغيرة، منفذ البحر المقطوع، أوله من السويس وآخره في بنط سعيد، وفرع النيل متصل بها في تل⁽²⁾ من الحديد، وهذه البلد مجعولة مرسى للمراكب. والبيع والشراء بها قليل ما عدا المأكول وما يحتاج له المراكب، وليس فيها شيء من البساتين، وأغلب بيوتها خشب وقصب، وأغلب سكانها نصارى ويهود، ما فيها غير مسجد واحد للمسلمين، ورأينا فيها منارة للسراج ليهتدوا أهل المراكب إليها،

يذكرون صب حجر⁽³⁾ واحد طولها مائتين وخمسة وتسعين رفصة [خطوة]، ورأينا فيها بيت صبّ كله حجر واحد، وذلك أنهم يأخذون الرمل ويعملوه ويصبوه، ويكون كالحجر لا فرق بينه وبين الحجر.

وطرقها الجميع منصوبة، وأسواقها على قدرها، وهي في زيادة عمار، وكل مركب يمر في البحر الجديد يسلم دارهم على قدر المركب في الكبر والصغر.

(1) - التفر هو مؤخرة السفينة ويسمى باللغة العربية الفصحى الكوئل.

(2) - معنى العبارة هنا جسر.

(3) - الحديث هنا عن الاسمنت فهذه المادة اكتشفت عام 1824م، من قبل البناء البريطاني جوزف آسبن.

وذكروا أن مدخوله في الشهر اثنين مليون افرنك، وخمسة افرنك بريال، والمليون ألف ألف، وذلك في كل شهر يأخذه الفرنسيين الذين قطعوا البحر، هكذا أخبرونا . وسافرنا منها في عشر ساعات وعشرين دقيقة من يومنا، ومع خروجنا رأينا الكراكة⁽¹⁾ التي تحفر البحر، تكفي لحكمه تحفر بالدخان، يعتزل الطين وحده والماء وحده، الماء ينزل للبحر والطين يبقى فيها .

(1) - جمعها كراكات، وهي الآلات العائمة المتخصصة بتنظيف مجرى القناة من الطمي الذي يحمله النيل.

الباب الثالث

في صفة أرض الشام وعجايبها وقبور الأنبياء وبيت المقدس

[يافا]

وصلنا يافا ثاني يوم الساعة اثنين إلا اثني عشر دقيقة من النهار يوم الأحد السادس من شهر جمادى الآخر⁽¹⁾، وهي بلد صغيرة عليها سوران على بعضهم بعض، ومن بعدهم خندق، وهي وحدها شكل فوق جبل، والبيوت فوق بعضها بعض، وشيء من الطرق للغرف.

وبنيانها أغلبه بالحجارة المنحوتة، وفيها مدافع على الأسوار، وبنيان الأسوار مصفحة بالحديد. وهي بلد قديمة وطرقها غير منصوبة ضيقة وسخة، وفيها صعود وهبوط. وأغلب البيوت والأسواق سقوفها زج، وكثيراً بناؤها قوي، وعلى البحر عند الفرضة جبل داير على البندر، وله طرق لدخول المواشي⁽²⁾، ولا تدخل المواشي إلا من مواضع معلومة

(1) - 11 آب 1872م.

(2) - السفن والزوارق.

والنزال من الماشوة⁽¹⁾ إلى البنط، والمراكب ترسي بعيداً عن البلد، وفيها بساتين خارج الخندق، وأغلبها نارنج مزنج، وهو البرتقال وغيره من الفواكه، وفيها جملة بيارق للنصارى⁽²⁾ لأنها بندر القدس، ولا بدّ من كل فرقه يكون لها بيارق. ورأينا المحل الذي نزلت به المائدة لبني إسرائيل عليه قبة، وفيها مسجد جامع كبير يقال له جامع أبو أنبوب⁽³⁾ فيه أروقه وخلوي، وباقي المساجد صفار. والفواكه فيها رخيصة، الذي في مكة بعشرين في يافة بعشر، الفرق قدر النصف.

[العرب النصارى]

وفيها كنيسة خارج البلد يدعون أنها موضع سيدنا الخضر عليه السلام، ورأيناهم كيف يصلّوا [يصلون] في كنائسهم، أعني النصارى، صلواتهم قيام لا سجود لهم ولا ركوع، فبعضهم قيام على الأقدام ويوضعون متكأ تحت إبطهم، وبعضهم يجثون على الركب، وصيامهم في السنة ثلاث

(1) - الماشوة قارب صغير يستخدم للتردد بين السفينة والساحل لنقل البحارة وبعض الأمتعة الخفيفة.

(2) - أعلام للأوربيين.

(3) - الصحيح أبو نبوت، محمد آغا شعور المعروف بأبي نبوت متسلم لواء غزة والرملة ويافا، وقد بنى هذا المسجد عمره 1225هـ، ووقف عليه سنة 1227هـ كثيراً من العقارات، وألحق به مكتب أي مدرسية لتعليم الأولاد.

مرات، مرتين من أربعين يوماً، ومرة خمسة عشر يوماً،
والفواكه عندهم إذا أكلوها لا تنقض الصيام ولا بأس بها .
والمذكورون نصارى الشام من العرب ليسوا من الإفرنج،
بل إنهم ملة واحدة⁽¹⁾، ولباسهم مثل المسلمين، ويتعجب
الإنسان من أقوالهم وأفعالهم أغلبها موافقة للمسلمين.
واطلعت على تفسير كتبهم بها أحوال كثيرة موافقة للشريعة،
وبها مواعظ وحكم، وعرفت الفرق بين القسيسين والرهبان.
القسيسين يخالطون الناس في الكنائس وغيرها، والرهبان
المنقطعين في الصوامع لا يخالطون الناس. وأخبروني عن
صفة ماء المعمودية فلا يكون نصرانياً من لم يغتسل بماء
المعمودية.

وذلك إذا ولد المولود أتاه القسيس بماء في إناء، وقرأ عليه
الإنجيل وما شاء من الأدعية، ووضّاه كوضوء الصلوة، ثم
يفسله بذاك الماء. يفعل ذلك ثلاث مرات وبعد ذلك يكون
نصرانياً طاهراً لا ينجسه شيء على زعمهم «...» .
وعلى كل رأس شهر يمضي، يدخل القسيسون الكنيسة،
وبعد صلواتهم يجعلون ماءً في إناءٍ ويقرؤون عليه ثم يدورون
به على المنازل يرشونها من ذلك الماء، ومن لم يحضر الكنيسة
من النساء والأطفال وغيرهم.

(1) - أي أنهم والمسلمون العرب شعب واحد .

وأعلا درجةً منهم البتاركة [البطاركة]، وهم أكبر من القسيسين والرهبان، وجميع أحكامهم في مذاهبهم ترجع إلى البتاركة.

والنصارى المذكورين يذكرون أنهم يستنجون من البول والغائط، وكذلك الجنابه لها استنجاء خاص ليس هو غسل تام، وهم ينكرون على باقي النصارى ويخطوهم [ويخطئوهم]، لأننا اجتمعنا بواحد من المتفقيين في دينهم ورأينا منه الإحسان التام، يا ليتة مسلم، ورأينا عندهم جوار سود، وسألناهم عن ذلك، فقالوا: معنا جازب البيع والشراء في الرقيق. قلنا: كيف والإنكليز يمنع؟ قالوا: فعله مخالف الإنجيل لأن الإنجيل محلل بيع الرقيق، بل الذي يدخل في ديننا نكره بيعه، لأنه قد دخل الدين وصار مثلهم وذلك لا يخرجهم من الرقية بل يكره بيعه وليس بحرام مطلقاً.

ثم سافرنا من يافا إلى بيت المقدس على خيل في يوم الثلاثاء تاسع⁽¹⁾ شهر جمادى الآخر، وأخذنا في الطريق اثني عشر ساعة وربع الذي مشيناها، وكري البهايم ثمانية أريال ونصف ناقص قليل.

وأغلب الطريق عمار مزارع وشجر الزيتون آية من كثرته حتى في الجبال. والسلك⁽²⁾ يسائر الطريق إلى بيت المقدس، والطرق كلها مخدومة. تصعد الجبل مثل الدواب والبهايم

(1) - يفترض أن يكون تاسع جمادى الآخر هو يوم الأربعاء 14 آب 1872م.

(2) - أي سلك التفراف.

تصعد بحمولها في جبال عالية جداً. والطريق فيها مقامات ومهاوي للاستراحة.

[بيت المقدس]

وجبال المقدس أغلبها بيض نيرة مخضرة، بخلاف باقي الأماكن إلى أن وصلنا مدينة بيت المقدس، وهي مدينة كبيرة عليها سور كبير، وأرضها طلوع ونزول ليست مصطحة، وخارج البلد فيها بساتين وشيء من البيوت المنظمة الجديدة. وأما بيوت البلد بنفسها فهي قديمة، وطرقها ما على كل حال⁽¹⁾.

وهي بلاد قديمة، وأغلب سكانها يهود ونصارى، والمسلمين [المسلمون] بها قليل. وبلغنا أن المسلمين سكان المدينة ألفين، والنصارى أربعة وعشرين ألف، واليهود أكثر عدداً من النصارى⁽²⁾، وفيها جملة كنائس.

(1) - يعني ليست على أحسن حال.

(2) - هذه الأرقام ليست دقيقة، وقد أشارت السالنامة العثمانية لعام 1288هـجري والذي يوافق زمن رحلة البوسعيدي أن الأعداد هي كما يلي: المسلمون 5125، والمسيحيون 3690، واليهود 3805، والمجموع 12620، أما الرحالة فوغيه فذكر في رحلته التي تمت عام 1872م وهو العام نفسه الذي يصادف رحلة البوسعيدي، بأن الأعداد هي كما يلي: المسلمون 4500، والمسيحيون 7500، واليهود 14000، ويفسر الدكتور عبد الكريم رافق تناقص أعداد المسلمين في القدس خلال تلك الفترة بجائحة الكوليرا التي قتلت الآلاف عام 1865. وفر نصف سكان القدس حتى أن الوالي العثماني فر من المدينة حينها. أما زيادة عدد اليهود ففسره الدكتور رافق بتدقق

[المسجد الأقصى]

فوصلنا المسجد الأقصى بفضل الله وكرمه، فرأينا حرماً كبيراً متسعاً عظيماً وفيه المسجد، وهو مسجد عظيم لا له مثل، يعجز الواصف عن وصفه، وفيه محارب الأنبياء عليهم السلام، ونزلنا أسفله ورأينا بناء القديم الذي بناه النبي سليمان بن داود، عليه السلام⁽¹⁾، وهو بالأحجار العظام، والبناء الثاني وضع على أساسه السابق، وكل محارب في محله على أساسه هكذا أخبرونا .

والمسجد فيه أبواب كبار، وفي وسطه عالي مثل البندان على طوله، وآخر البندان قرب المحراب، فيه قبة عظيمة مزخرفة الغاية، وفيه جملة عواميد بالرخام الملون، وفيه شبّاك وتخت ومدارج ومقطوع منه جانب للنساء، وفي جوفه صهريج ماء، وبعضه مفروش بحجر الرّخام، وبعضه بحجر آخر، وهو في جانب من الحرم .

وفي وسط الحرم الصخرة، وعليها قبة عظيمة في غاية الحسن، وفي جوف القبة شبّاك في وسط الصخرة، ولها درج تنزل تحتها وهي عظيمة، وتحتها محرابان أحدهما لسيدنا داود والثاني لابنه سليمان عليهما السلام، وموضع صلى فيه سيدنا محمد عليه أفضل الصلوة والسلام. ويذكروا [ويذكرون

الهجرة اليهودية في ذلك الوقت. راجع الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الجزء الثاني الصفحات 907-909 .

(1) - معلومات مستندة [على مصادر دينية وليس أثرية .

أنها [كانت متعلقة [أي الصخرة]، والآن في حولها بناء خفيف
إذا ضربته يرتج والله أعلم. وذكروا سبب ذلك إذا دخلن
النساء الحوامل تحتها يضعن حملهن من الخوف، فبنوا هذا
البناء لأجل الاطمئنان.

وفي القبة آثارٌ للأنبياء كثيرة، من محاريب لهم ومقامات
وغير ذلك على ما أخبرونا، ويجانب القبة قبة غيرها صغيرة
في غاية الحسن، يذكرون أنها موضع السلسلة التي كانوا
يُحلفون عليها، وفيها محراب، وهو موضع الحكومة الذي كان
يقعد فيه نبي الله داود عليه السلام للحكومة.

ورأينا مهد سيدنا عيسى عليه السلام كذلك في الحرم،
وهو في الأرض ينزل إليه من أراد زيارته، وفي جانب من
الحرم على طوله مدارس ومواضع للمجاورين، وفيه صهاريج
ماء وأخبرونا أنه كان فيه عين ماء تجري والآن انقطعت، وفي
وسطه مواضع صفار للمتعلمين، وفيه جملة شجر زيتون
وغيره.

الحاصل أنه مسجد مبارك وحرّم كبير، غير أنه خراب،
والمسجد مهجور كله وسخ من روث الحمام إلا ما شاء الله
تجد به محلاً نظيفاً يصلّي فيه.

ورأينا شيئاً من البناء القديم من زمن النبي سليمان بن
داود عليه السلام، وهذا البناء عبّرة لمن اعتبر.
ورأينا مربط البراق لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الإسراء، هكذا أخبرونا.

وكل موضعٍ وأثرٍ قديمٍ فهو نازلٌ في الأرض، لا بد من النزول له، أغلب الآثار التي رأيناها هكذا.

والقبة التي فيها الصخرة، فهي في وَسَطِ مسجدٍ مَثْمَنٍ وفيه أربعة أبواب مصفحة، وهو كبير، وفي وسطه القبة وفيها الصخرة، وعليها الشبابيك كما تقدم أولاً، تدخل من واحدٍ وتنزل، والثاني هو دائر على الصخرة، وهذا المسجد لا يتوصّف مما فيه من الزخارف والنقوشات وإتقان البناء القديم، وذلك من بناء بني أمية.

بلغني ممن رأى تاريخ البناء من الزوّار مكتوباً على القبة سنة ثلاث وثمانين ومايتين^(١)، فيكون لذلك البناء إلى الآن ألف وست سنين، ورأيت مصابيح في هذا المسجد ما رأيت مثلاً في باقي المساجد، إذا أشرقت عليهم الشمس ترى العجب من الألوان والأشكال. وسور البلد عالي مبني بالحجر المسحول العظام، ويذكرون فيه شيء من بناء نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام، وأغلب البيوت مبنية بالحجر المسحول والطرق كلها مفروشة بالحجر، وفيها جملة أسواقٍ وعليها زجّ، وكذلك البيوت عليها زجّ.

[وادي جهنم]

وخارج السور في جانب البلد وادي النار فيه مقابر اليهود، ما رأيت مقبرةً أكبر منها، وفي الوادي بناء قديم وآثار قديمة،

(١) - سنة 896 م.

ما وجدنا من يخبرنا عنها، ومن جملة ذلك قبة عالية متطاولة وفيها باب أعلى من الأرض بمقدار قامتين، يأتوها [يأتيها] النصارى ويَرْمُوا [ويرمون] في جوفها أحجار صفار، من غير تشبيه، كرمي الجمار، وإذا امتلأت فرغوها دائماً هكذا، يذكرون أنه طرطور فرعون بأخبارهم.

ومن جملة هذه الآثار مواضع منحوتة في الجبل بعض منها كالمساكن.

وظلعنا جبل الزيتون وهو بعد وادي النار جبل عالي سهل المطلع، ورأينا فيه قبة يذكرون أنه الموضع الذي رفع الله منه عيسى عليه السلام، وفيها موضع في الوسط هو علامة محل رفعه منه. والنصارى لم يزلوا [ما زالوا] يترددون في [على] ذلك الموضع تبركاً به، وفي بعض الأيام يعملون عيداً عظيماً عند القبة، هكذا أخبرونا.

وعلى الجبل المذكور آثار قديمة مزارات، منها مزار السيد محمد العَلَم حامل راية المسلمين، وسيدتنا رابعة العدوية رضي الله عنها، وسيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، والشهداء والأربعين.

وما الجبل والبلاد في ناحية عن وادي النار، من أعلاه قبر سيدتنا مريم بنت عمران عليها السلام، والآن في أيدي النصارى، طلبوه من الدولة وعملوا عليه كنيسة، وهو نازل في الأرض نحو خمسين درجة في القياس، وعاملين معه من الزينة شيء لا يتوصف، من أواني الذهب والفضة، من قناديل

ومغارز وغير ذلك، والقبر عليه حجر مثل الكهرب⁽¹⁾ ومصّورين صورة سيّدتنا مريم وسيّدنا عيسى «عم» ما شاء الله تلك الصورة قاصر عليها الروح وعليهم من اللباس ما شاء الله، والمشاميع والقناديل مسروجة ليلاً ونهاراً. وفي بعض الأيام يعملون عيداً عظيماً عندها.

وقبر سيدنا داود عليه السلام خارج عن السّور. من جانب من الحرم موضع فيه على صفة القبر كبير قول أنّه قبر سيّدنا سليمان عليه السلام، وقول آخر أنه محل كرسيه مختلفين في ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم بصحته، وقول أنّه دُفن في غار قرب الصخرة، وقول عند أبيه، وحجّة من قال عند كرسيه أنّ الأنبياء يدفنون حيثما كانوا، ودليله الآية.

[كنيسة القيامة]

ودخلنا كنيسة النصارى القديمة التي من زمن الجاهلية المسماة بالقيامة، ورأينا فيها موضعاً، ورأينا فيها من الزينة والزخاريف وأواني الفضة والذهب من قناديل ومغارز وأمياز⁽²⁾ مصفحة وغير ذلك من التصاوير والتماثيل شيء عظيم.

(1) - يستخرج حجر الكهرب من شواطئ المانيا وبولونيا، وهو يضيء في الظلمة ويستخدم خصوصاً في صنع السبح.

(2) - جمع ميز أي طاولة.

وبزعمهم أنه الموضع الذي قتل فيه سيدنا عيسى عليه السلام، وحاشى لله من ذلك، وحتى الدّم مصّور. وموضع ما دفن صورة قبر حجر مثل الكهرب، وعليه شيء كثير مما ذكرته، وصورة سيّدتنا مريم «عم» في صباها، وعليها من اللباس والحلي والجواهر ما لا يوصف. الحاصل أنّ العقل لا يسع ما رأيناه، يعجز الواصف عن وصفه، ورأينا في هذه الكنايس نصارى الحبشة ورأيناهم يصلّون منهم القائم ومنهم الجاثي على ركبتيه، وهم صموت على كثرتهم لا تسمع لهم حساً غير صوت القراء.

وحراس هذه الكنيسة مسلمين متوارثين لها من سابق، من مدّة سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه على هذه القاعدة، وهو الذي أقامهم وأبقى هذه الكنيسة لهم كرامة لهم لأنهم سلّموا له البلد من غير حرب⁽¹⁾، وأمر المسلمين أن يحرسوها لهم وثبت ذلك على ما كان. هكذا أخبرونا.

والقناديل والمشاميع لم تزل موقدة فيها ليلاً ونهاراً، وفيما أظنّ ليس عندهم كنايس أفخر من الذي رأيناها في القدس، ولا أكثر مالاً منها، لأن جميع ملوكهم تهدي إليها الأموال الجزيلة. هكذا أخبرونا.

وكنايس كثيرة في القدس بل الاعتماد عندهم على التي ذكرناها.

(1) - إشارة إلى المعاهدة العمرية التي كتبها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمسيحيي القدس.

واتفق لنا يوم الجمعة في القدس، ورأينا المسلمين في صلاة الجمعة قليلين، نحو أربعماية نفر زايد قاصر، والمسجد خالي ما كأنها صلاة جمعة من قلة المسلمين في ذلك المحل، والله المستعان. الدين غريب وسيعود كما بدأ.

وقبر نبي الله سيدنا العزيز عليه السلام خارج البلد. بُعدُه عن البلد مقدار ساعة إلا ربع، ورأينا كهفه الذي كان يتعبد ويسكن فيه على قولهم، قرب قبره.

وسيدنا موسى كليم الله، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم، قبره بعيد عن البلد بمقدار أربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات، وطريقه صعبة مخيفة يسرون له بعسكر.

ورأينا من كراماتة حجراً في الموضع الذي هو فيه يتلظى مثل الفحم يطبخون به⁽¹⁾، لأن تلك الجبال التي حوله عديمة من الشجر ولم يتيسر الحطب للزوار وربما لأجل ذلك صارت هذه الكرامة من أراد أن يوقد ناراً يأخذ بعض الحصيات الصغار بقدر ما يشب الحجر، ويطبخ به ما يشاء من المأكولات ويشوي به اللحم المراد إنه مثل الفحم وله رائحة في النار، ورأيناه يلظي عياناً، ويذكرون أنه إذا خرج عن محلّ القدس بطل عمله والله أعلم.

وبالقرب من قبره قبر الراعي الذي كان يرعى غنم سيدنا موسى عليه السلام، وقبورهم في جوف المسجد في محل

(1) - هذا هو الحجر الزيتي الذي يسمى "السجيل" وهو موجود في مناطق مختلفة من بلاد الشام.

واحد عليهم شباك، وإذا طلعت جبل الزيتون ترى بحيرة ماء كبيرة جداً يذكرون هي التي أهلك الله فيها قوم لوط عليه السلام، وحولها موضع المداين المذكورة، والنصارى يقصدونها لأخذ الماء منها يتبركون به، ويصحبون إلى منازلهم.

ودخلنا كنيسة⁽¹⁾ اليهود التي بالقدس، وهي بخلاف كنيسة النصارى رأينا فيها كراسي جملة، وصناديق للكتب، وفي وسطها مثل التابوت، وهو موضع للقارئ، وفيها مثل المنبر وفي وسطه محراب، وعلى المحراب ستارة مرخية، ويذكرون أن في باطن هذا المحراب صورة النبي موسى عليه السلام، وأردنا أن نكشفه للتفرج عليه فمنعونا يذكرون أنهم يكشفونه يوم السبت عند عبادتهم، وليس في هذه الكنيسة كثرة من الزينة ككنيسة النصارى.

[بيت لحم]

ثم سافرنا من بيت المقدس في ثمان ساعات إلا ربع إلى الخليل، فمررنا في الطريق على قبر نبي الله راجيل⁽²⁾ عليه السلام بن يعقوب، وهو بيد اليهود.

ومررنا على قرية تسمى بيت لحم فيها موضع مولد روح الله عيسى عليه السلام، وحيثما وضعت أمة بعد الولادة

(1) - معبد اليهود يسمى كنيس او كنأش أي مجمع.

(2) - في الحقيقة لا يوجد ابن ليعقوب (عم) يدعى راجيل، ولكن لديه زوجة تدعى راجيل أو راشيل هي أم يوسف ويزعم أنها مدفونة قرب بيت لحم على الطريق بين القدس والخليل، والواضح أن المقام الذي زاره البوسعيدى هو ضريحها.

وموضع النخلة، وهو محل نازل في الأرض وهو بيد النصارى،
جاعلين عليه كنيسة كبيرة وبها من الزينة والزخارف
والتماثيل غاية في الكثرة.

وهذه البلد يذكرون أنّ كلّها نصارى ما بها أحد من
المسلمين أبداً، ومررنا على النبيّ متى والنبيّ يونس عليه
السلام.

[الخليل]

ووصلنا بلد الخليل بعد ساعة إلا ربع من اليوم الثاني من
مسيرنا، وكان جملة المسير خمس ساعات زائد قليل قاصر
قليل. ورأينا بها مسجداً كبيراً ما شاء الله، وفيه قبور الأنبياء
عليهم الصلوة والسلام، منهم إبراهيم خليل الله عليه السلام،
وزوجته سارة، والنبي اسحق، وزوجته رفقة، والنبي يعقوب،
وزوجته لايقة.

هؤلاء في محلّ واحد في مغارة من الجبل باطن المسجد،
وفي أعلى المغارة التوابيت، من خارج فوق كلّ قبر تابوت، وفي
ناحية أخرى من المسجد المذكور مغارة أخرى من الجبل،
باطنها قبر نبي الله يوسف عليه السلام، وكذلك من خارجه
تابوت في أعلاه.

والغار الأول الذي فيه إبراهيم الخليل «عم» بابه مسدود
بالرصاص، بل له فرجة قدر الكوة الصغيرة، يزورونهم الناس
منها والأنوار تتلألأ في ذلك الغار.

وأما الغار الثاني، فله طريق من جانب المسجد، وأما نبيّ الله لوط عليه السلام فقبره بعيد عن البلد بمقدار ساعة وربع، ونبي الله العيص عليه السلام مسير ساعة ونصف عن البلد، ونبي الله نوح عليه السلام مسير ساعتين، وغار الأنبياء وعليهم السلام مسير أربعين دقيقة عن البلد. وهو السرد الشريف المشهور.

وهذا المسجد يذكرون أنه أول [من] بناء النبي سليمان عليه السلام، وما رأيت خدمة أقوى منه. بناؤه بالحجر المنحوت، ذرعنا حجراً من طوله ست عشر ذراعاً بذراعنا، وعرضه ذراعين ونصف، وذلك باقي من بناء النبي سليمان عليه السلام⁽¹⁾، وفيه بركة ماء كبيرة، والفلج من أعلاها، وهي على طريق المسجد في وسط الدّرج، وهذه البلد كلّها سكّانها مسلمون أخيار، ما رأيت مثلهم في تلك الأرض، ونساؤهم مستورات لا تسمع لهنّ حساً، ولا نرى منهم أحداً على الطّيق وهي الدرايش⁽²⁾، وإذا خرجن النسوة في غاية الستر والتحفظ، لا يبين منهن شيء أبداً.

الحاصل أنّ الرجال والنساء في تلك البلد كلهم أخيار القليل كما هم. وأما الفلاحين [الفلاحون] فهم مثل البهايم،

(1) - كل الأحاديث عن آثار النبي سليمان هي محض تكهنات وافتراضات لم تبت أثرياً فيما بعد رحلة البوسعيدي.

(2) - وهي التوافذ أو الشبايبك بلهجات الجزيرة العربية.

وجميع أشغالهم على نسائهم من بيع وشراء وغير ذلك، تراهـم
في الأسواق تتزاحـم الرّجال والنساء .

وبلادهم نيرة لم يكن بها أحد من المشركين سوى كم [كم
من] أنفر من اليهود خاصة، وهم في أتم الدّل.

وهذه البلدان كلّها التي بقرب بيت المقدس بناؤها وطرقها
وأسواقها وبيوتها على شكل واحد، لا فرق فيها غير الكبر
والصغر، وأمّا القرى الصغار فصفتها ثانية.

ورأينا الجبل المنحوت قريب من القرية التي بها نبيّ الله
عيسى عليه السلام، وهي كانت قديماً مساكن للأوائل يتعجب
النّاظر من صنعتها، والآن جعلوها مقابر يدفنون فيها الموتى.
هكذا أخبرونا .

وتلك الأطراف بساتينهم كلّها واحد تشبه بعضها بعضاً،
والفواكه والمعاش كله رخيص بها، وشجرهم الذي على الجبال
يجعلون لها رفوفاً كل طبقة أعلا من الثانية، من زيتون وغيره،
وفيها من الخيرات شيء كثير، من الأشجار والمحاشي وغير
ذلك.

[الرملة]

ومقام النّبي زكريا عليه السلام بين بلد الخليل والرملة،
وقليل [وقيل] قبره في غار تحت المسجد في ذلك المحل والله
أعلم.

وأما نبيّ الله صالح عليه السلام فهو في مدينة الرّملة في
جامع كبير، وذلك الجامع طبقتين طبقة من تحت الأرض

وطبقة من أعلاها، وفي باطن الطبقة السفلى أريمون نقرأ مدفونة من قوم النبي صالح عليه السلام، وهم من المؤمنين رحمهم الله.

والجامع المذكور كله خراب ما باقى غير بعض آثاره وحدوده، وهذه الرملة بلد بين يافا وبيت المقدس مسير ثلاث ساعات من يافا. وكذلك سيدنا الفضل بن العباس مدفون في الرملة.

[الرجوع إلى يافا]

ورجعنا من بيت المقدس إلى يافا يوم التاسع عشر من جمادى الآخر⁽¹⁾ وكان وصولنا ذلك اليوم والحمد لله على بلوغنا لزيارة الأنبياء عليهم السلام، والمكانات الشريفة. ومن الخليل إلى يافا مسير خمسة عشر [ساعة] تقريباً.

[إلى حيفا]

وسافرنا من يافا في تسع ساعات وتسع دقائق من يوم عشرين من شهر جمادى الآخر⁽²⁾، ووصلنا حيفا في ثلاث ساعات وخمسة وعشرين دقيقة من الليل.

(1) - 24 آب 1272م.

(2) - 25 آب 1272م.

[بيروت]

وسافرنا منها في أربع ساعات وخمسة وأربعين دقيقة، فوصلنا مدينة بيروت في مقدار ساعة إلا ثلث من يوم الأحد وعشرين من الشهر المذكور، وذلك في بابو البحر للنيمسا .

وهذه بيروت بندر [ميناء] من بنادر الشام، ولها سيفة⁽¹⁾ من البحر، ومرساها كثيرٌ زين تدخل المواشي بين جبَلَيْن، وعلى الجبال بناء، فتكون المواشي كأنها في بركة ماء، لا موجه ولا سوجة، وتنزل من الماشوة للبنط.

وكذلك الرفاع ينزل من الماشوة للبنط من غير تعب، وهي بلدٌ طيبةٌ فيها من المأكَل الفاخرة من فواكه وغيرها شيء كثير. وأكثر سكّانها نصارى ويهود، ويقدر الريع مسلمون والثلاثة الأرباع من غيرهم. وفيها جملة أسواق وبيوت فاخرة وبساتين، وأغلب طرقها مفروشة بالحجر.

الحاصل أنّها بلدة طيبةٌ وهواؤها ناصح، وفيها مقام نبي الله يحيى عليه السلام، ويده الشريفة.

هكذا أخبرونا، والمقام مجعول مسجد جامع للجمعة منظم.

(1) - سيفة البحر تعني شاطئ البحر.

[إلى دمشق]

ثم توجّهنا من بيروت إلى دمشق الشام، وأخذنا في الطريق ثلاث عشر ساعة إلا ثلث في الكروسة^(١)، وهي عربيّة تجرّها ستّ رؤوس من الخيل، وهي تحمل خمسة عشر نضراً، أعلى وأسفل، وتبدّل الخيل في عشرة مواضع كل موضع تقف بقدر نصف ساعة بقدر قضاء حوائجهم من أكل وغير ذلك. والذين يسيرون على البهائم يمكثون في الطريق ثلاثة أيام، وفي الطريق من البساتين والمزارع والأشجار والأنهار شيء كثير، وأكثر الطريق عمار والقليل فيها خراب، وفيها جملة قهاوي ومناخات وتلغراف متصل من بيروت إلى دمشق.

[محاسن دمشق]

فلما وصلنا رأيناها مدينة عظيمة، وفيها جملة أسواق ومساجد وحمّامات شيء كثير، وفي أسواقها شيء كثير، من بضائع وغيرها من المأكّل والمشارب والفواكه الفاخرة شيء لا يتوصّف.

وحولها البساتين محدقة عليها كلجّة البحر، وحول البساتين الجبل داير عليها مثل السور. وهي تسقيها بسبعة أنهار كبار، وتتفرّق إلى جملة أنهار. ولا رأيت بلداً كثيرة المياه مثلها، في بيت بركة أو بركتين، حتّى في الطهاير الماء يجري

(١) - هي عربة الخيل للمسافرين.

ويفسل النجاسات، إذا كانَ الإنسان في قضاء حاجة فالماء يجري قدّامه.

وفي الطريق والأسواق وحيثما نسير ترى الماء يتصبّب منه ومن الجدران، ومنه يثور من وسط البرك.

وبيوتها أغلبها على طبقة واحدة، النادر الذي هو طبقتان، وليس لها شيفة من خارج⁽¹⁾ بل مزينات من داخل، وأغلبهم طين مثل بيوت الشوانب «ل»، وبعضهم من الحجر. وطرقها أغلبها مفروشة بالحجارة، وهي بلد قديمة على قسم البلدان القدام.

[الجامع الأموي]

ورأينا المسجد الأموي وهو جامع كبير والسوق دايرة به، وفي صرحه بركة ينصبّ عليها الماء، ومن داخل بنيانه الذي من الصرح⁽²⁾ إلى المسجد بلايل ينصبّ منها الماء، وكذلك الأبواب التي له على الأسواق، ينصبّ عندها الماء من كلّ جانب. وفيه خلاوي كثيرة للمجاورين، وفيه مناير كبار، منها المنارة الشرقية ينزل عليها عيسى عليه السلام آخر الزمان، هكذا يذكرون.

(1) - منظر جميل.

(2) - هو صحن المسجد.

وعدد درج المنارة المذكورة مائتين وعشرين درجة عليها
[علوها] قليل، والثانية تسمى العروس عريضة يطلعون يقرأون
المولد فيها.

ويذكرون أنّ هذا المسجد كان كنيسة، ولما تولّوا المسلمون
[تولى المسلمون] هدموها وبنوها مسجداً. ولما صارت الخلافة
لبنى أمية هدموه وعمروه ثانياً.

وفي وسطه مزار يذكرون أنّه رأس النبي يحيى ابن زكريّا
عليهما السلام، وكذلك فيه موضع يُقال إنّهُ مقام النبيّ هود
عليه السلام، وقول قبره في غار تحت المسجد ومعه سبعون
نبيّاً. وفي ناحية منه موضع يقولون إنه مقام نبيّ الله الخضر
عليه السلام.

وخارج المسجد في ناحية من الصرح موضع يزيد بن
معاوية، وحيثما ترك رأس الحسين بن عليّ أبي طالب «عم»
قول أنّه دفن في محله، وقول بمصر والله أعلم. وفي المحليّن له
مزار.

[الصالحية]

وخارج البلد على تكفاف الجبل موضع يسمى الصّالحية،
وهي مقبرة كبيرة يذكرون فيها جملة من الأنبياء عليهم الصّلوة
والسلام ولم يستمّوهم، المسمّى منهم ذو الكفل عليه السلام
وعليه تابوت وقبة.

وفي أعلى المقبرة غار أهل الكهف، ربّما كانوا يأوون فيه،
وغار للأولياء الأربعين.

وبين البلد والصّاحية مزار للأكراد الأيوبيّة، هؤلاء ينسبون إلى النّبي أيّوب عليه السلام، وهما قبران مكشوفان من جانب محشّوان من القطن أحدهما مملوء والثاني غير مملوء، وإذا أمعنت النظر فيه تنظر رجل الميت على حالها وهي آية من آيات الله تعالى⁽¹⁾.

وفي دمشق مزارات كثيرة منها مزار لبلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومزار لكعب بن أبي، وطلحة، والزبير⁽²⁾، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية الصغير بن يزيد بن معاوية، وقبر يزيد بن معاوية يرجموه بالحجارة، والحجارة موجودة على قبره كثيراً وهو على الطريق. وولد لسيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وأبي عبدة بن الجراح، ومقام لسيدنا زين العابدين رضي الله عنه في ناحية من المسجد الأمويّ بقرب موضع رأس الحسين عليه السلام.

ومنها مزار الشيخ محي الدين ابن العربيّ [عربي]، والشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ رسلان الدمشقي، وجملة مواضع فيها الشهداء ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليس هم في موضع واحد بل في مواضع

(1) - ما يزال هذا المقام قائماً في منطقة ركن الدين بدمشق حتى الآن ويقصده العوام، ويدعى مقام الأكراد الأيوبية ووضع تاريخ الوفاة 637 هـ. والأكراد الأيوبية لا علاقة لهم بالنبي أيّوب بل بالسلالة الأيوبية المنتصرة عن والد صلاح الدين أيّوب بن شاذي.

(2) - يفترض أن ضريح طلحة بن الزبير في منطقة خور الزبير غرب البصرة حيث الوقع المفترض لمعركة الجمل حيث قتل هناك.

متفرقة رضي الله تعالى عنهم، وغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين آمين. والحاصل أن دمشق الشَّام جنة الدنيا ويصدق فيها قول واصفها شعراً:

عرج ركابك عن دمشق لأنها بلد تذل لها الأسود وتخضع
ما بين جانبها وباب بريدها بدر يغيب وألف بدر يطلع
ومن كثرة الهواء ما وافقنا في الوقت الذي كنا فيها، كان
البلد وخيمه كثير، حتّى من أهل البلد وجدنا جملة من
المرضى⁽¹⁾. والحرّ عندهم كشدة البرد عندنا.

ورأينا فيها الكارخانات [الورشات] التي تعمل الطيق
الشامي وتصفية الحرير ويرمه، الجميع بالآلات، وسوق
الصوغ⁽²⁾ في البلد قرب المسجد الأموي في محل واحد، وبها
خلق كثير، والكروسة المتقدم ذكرها، مصنوع لها طريقاً في
الجبل معوّج في الصعود والهبوط، يتعجب الإنسان في سلوكه
من صنعته، وكل يوم تسير مرتين من دمشق إلى بيروت.
الصبح مرّة والرايح مرّة، المراد ما تتقطع، فهذه سايره وهذه
مقبلة يلتقيان في وسط الطريق دائماً، وهما صنع الفرنسيين
كبانیه، الحاصل أنّها خدمة كبيرة تحتاج إلى مفرم كثير⁽³⁾.

(1) - ربما يقصد هنا الهواء الأصفر الذي يسمى الآن الكوليرا، ففي ذلك الوقت اجتاحت جائحة كوليرا بلاد الشام برمتها وقتلت الآلاف.

(2) - سوق الصاغة القديم.

(3) - عناء كبير.

ودائماً واقفين لها للخدمة، وكلّ يوم الخدمة فيها، وما يمرّ أحدٌ في هذه الطرق إلّا بدراهم.

وغير الكروسة جوّاري⁽¹⁾ جملة، تحمل أموالاً جزيلة بل أنها تمكث في الطريق ثلاثة أيام.

وما بين بيروت ودمشق يذكرون قبور الأنبياء إلياس وشيث عليهما السلام، وهما في ناحية عن الطريق. هكذا أخبرونا لأننا مرّينا بعيداً عنهما، ولا أمكن وصولنا إليهما بحيث أهل الكروسة لا يمكن منهم الانتظار، لأجل ذلك صَحّ لنا مانع وقرأنا لهم الفاتحة من بعد، وعلى الله القبول.

[أذان الأموي]

وأذان أهل مسجد الأموي لا رأينا مثله، وهو أنهم يجتمعون جملة في المنارة، ويتدئ واحد بالأذان ويتبعوه الباقيون على صوت واحد، وتستوي لهم ضجة عظيمة فوق المنارة، ويتدئون في التذكير من ستّ ساعات من الليل، تسمع لهم ضجة، وصلواتهم قبل استوفاء الأذان، وكل فرقة تصلي بإمام وحدها، كصلوة التراويح بمكة جماعات. الحاصل أنّ لهم أحوال مخالفة.

وأما التدريس فجملة علماء يدرسون في المسجد ويجمعون خلقاً كثيراً في الصلوة وعند الدرس.

(1) - عربات.

ويذكرون أنّ بأرض الشام من الفرق المختلفة في المذاهب
جملة كلّهم يدعون الإسلام منهم الدروز والمتاوله والنصيريّه
وغيرهم، ولهم عقايد «...» لم نقف على حقيقتها نسأل الله
العافية.

[رحلة العودة]

ثمّ رجعنا من دمشق يوم رابع من شهر رجب من السنة
المذكورة⁽¹⁾ إلى بيروت، وركبنا البحر إلى بنط سعيد وعدد
البنادر من بيروت إلى يافا جملة على البحر، منها حيفا،
وصيدا، وعكا، وصور.

ويذكرون أنّه بقرب يافا نبيّ الله روبييل بن يعقوب عليه
السلام مسير ثلاث ساعات عنها .

فلما وصلنا بنط سعيد أقمنا به أربعة عشر يوماً حابسين
أنفسنا نرقب مركب الدولة من اسطنبول، ولم يصل في هذه
المدّة، وكان سبب ذلك رغبتنا الركوب في مراكب المسلمين.

[مصانع بورسعيد]

ورأينا فيها [بورشعيد] كارخانات تعمل الحديد، وآلة
مراكب الدخان والكرّاقات لحفر البحر، والمحل الذي يوشروا
فيه المراكب ويصلحوهم. فيه يصبّوا الحديد مثل الرصاص،
وعندهم آلات تقطع الحديد وتبرمه وتسجله مثل الشمع، ليس

(1) - السبت 7 أيلول 1872م.

مثل الخشب بل الخشب أقوى منه وهو بارد بلا إدخال النار تكفي إلى حكمه ولا تسمع له حسّ وقت القطع. وشيء من الآلات تطرّق الحديد وتشرح الخشب وتقطعه للنجارين، وكلّ شغلهم بالنّار. وهذه الكارخانات للفرنسيّس.

وصعدنا المنارة التي فيها الفانوس، وهي صبّ وفي بطنها سلّم حديد، طولها مائتين وتسعة وثمانون درجة، وخارج خمس درجات، الجملة مائتين وأربعة وتسعين درجة. وفي أعلاها الفانوس الدوّار طول الليل يدور ويشعل مثل الكواكب، له لمعان بخلاف باقي الفوانيس، له آلة تدوره مثل آلة الساعة، ويولعونه من أسفل المنارة بالآلات وكلّه بالنار، وفيها سلك من أعلاها إلى أسفلها يكلمون بعضهم بعضاً بالسلك.

ورأينا البحيرة من المنارة وهي بين بنط سعيد ودمياط، وهذه البحيرة عليها جملة بلدان يسير الإنسان بها أياماً وبحرها أقل من قامه الإنسان، لا تسافر فيها غير السفن الصغار، وليس لهنّ هياريب⁽¹⁾، من أسفلهنّ ألواح.

وفيها «البحيرة» آية من الصيد والطير شيء لا يتوصّف، ويذكرون أنها مقعودة في كل سنة بستّين ألف جنين^[هـ] طبع مصر من خمسة أريل عن ثلاثة لكّ ريال، مدخولها لإسماعيل باشا والي مصر.

ولها طرق من البحر الكبير، ودمياط يسير إليها الفاصل من بنط سعيد في البحيرة، والمسافة بينهما وضع، ويسير لها

(1) - الصحيح ميازيب وهي المجاري الخاصة بتصريف المياه.

كذلك من البحر الكبير ومن مصر في جاري الدخان. هكذا
أخبرونا والله أعلم.

ثم سافرنا من بنط سعيد إلى الإسماعيلية في ماشوة
الدخان الكبيرة يسمونه مركب البوسطة. وكان سفرنا في
البحر الجديد⁽¹⁾، أخذنا في البحر ست ساعات زايد قاصر،
الذي مشيناها من الأماكن والذي رسوا فيها لأجل الماء وراحة
الركاب وقضاء حوائجهم، ورسوا في مكانين.

والبحر الجديد في بعض الأماكن بقدر مرور مركب واحد
لا زيادة ظن وفي بعض الأماكن متسع حد النظر، وذلك في
وسطه أوسع وفيه طرفاء أضيق، إذا رميت حجراً تصل
الجانب الآخر من غير تكلف.

الحاصل، بقدر مخطف مركب واحد، والكرافات التي
تحفر البحر، وهم دائماً في شغل لا يقفون من الفجر بحيث
كله رمل ينهال، وإذا أراد يمر مركب في المكان الضيق، يعطى
خبراً في تلغراف لئلا يقدم عليه مركب آخر من الجهة الأخرى
فيتصادمان، والسلك مسائر البحر الجديد والمكان المتسع
أصله نازل، ولما قطعوه من الطرفين امتد فصار بحراً واسعاً،
وبنى الفلاحون والصيادون على حوافه جملة.

ومرنا على البحيرة المتقدم ذكرها ورأينا فيها من الطير
ما لا يعد ولها يحصى كثرة، منه على الماء ومنه طائر، لأن
البحر الجديد يمر بقرىها.

(1) - قناة السويس.

ومن الإسماعيلية ركبنا في بابور الدخان البرّ إلى السويس،
وفي يومنا وصلنا السويس صلوّة العتمة، لأنّا مكثنا
بالإسماعيلية، من هذا السبب وصلنا ليلاً، والعجب في خدمة
الكرّاقات حكمة بالغة ما تتوصّف، وهم أشكال كثيرة ليست
واحدة تشبه الأخرى، منها التي تحفر البحر من وسطه،
وتأتيها أخرى تحمل الطين وترميه في محلّ آخر، ومنها تحضر
في طرف البحر وترمي الطين بالآلة بعيداً عن البحر، والآلة
في نفس الكرّاقة. الحاصل أنّها حكمة بالغة ولهنّ آلات كثيرة
وخدمٌ كثيرة لمقابلة الشغل، وهنّ في أماكن كثيرة.

ويوم ثاني سافرنا من السويس إلى جدّه في مركب
إسماعيل باشا، وهو دخان اسمه الحديدية واسم قبّطانه
حافظ، وأوادمهم كلّهم أخبار كما ينبغي، فوصلنا بندر جدة
يوم حادي والجمعة من شهر شعبان⁽¹⁾ في ثماني ساعات من
النهار، ثمّ منها إلى مكّة المشرفة.

وبلغنا عن السلطان عبدا لعزیز خان⁽²⁾ أنّ في دولته
العثمانية عساکر جملة من ذلك قول إنهم خمسة وعشرون
لكّ، وقول ثمانية وعشرون لكّ، وقد رأينا خارج مدينة دمشق
الشام خيام العساكر وأخبرونا في ذلك المحلّ خمسة عشر ألف

(1) - 4 تشرين الأول 1872م.

(2) - السلطان "عبد العزيز خان" ابن السلطان محمود الثاني، الخليفة الثاني والثلاثين
في سلسلة خلفاء الدولة العثمانية، تولى السلطنة في سنة 1277 هـ 1861م، وعزل 6
من جمادى الأولى 1293 هـ 30 من مايو 1876م.

عسري يعلموهم العسكرية، وكلّ سنة يعملون قرعة في كل بلد من بلدانهم خلاف الحرمين، والذي تخرج عليه القرعة يدخلوه في العسكرية إلى ستّ سنين، وبعد ذلك يكون رديفاً، وهو أن يرخصوا له يخدم على نفسه في بلده أو غيرها إلى وقت الحاجة المهمة، ودائماً هكذا كل سنة، وبهذا السبب كثرت عساكرهم في سائر ممالكهم. نسأل الله أن ينصر دولة المسلمين.

وبلغنا لما سافر إسماعيل باشا ولي مصر إلى اسطنبول لمواجهة السلطان أهدها اثنين مليون جنين [هـ] مصري من خمسة ريال عن عشر مليون ريال، غير الذي أهدها لأرباب الدولة، ومن السلاح ثمانين ألف تفق⁽¹⁾ من الشكل الجديد .

وصارت له حشمة عظيمة ما لا نهاية، ورجع إلى مصر بلا علم من السلطان، وكان سفره من اسطنبول في ثمانين ساعات من الليل، وبعد سفره عزل السلطان الصدر الأعظم بسبب ذلك، كيف تركه يسافر وهو عنده علم بسفره. وربما كان في نفس السلطان شيء على إسماعيل باشا .

وولّوا مكانه مدحت باشا⁽²⁾، كان والياً في بغداد ثم عزل ثم ولّوا مكانه غيره، والله أعلم.

(1) - نوع من البنادق.

(2) - الوزير العثماني مدحت باشا من مواليد اسطنبول عام 1238 هـ - 1822 م من أب اسمه "حاجي اشرف أفندي" وكان قاضياً، أصله من مدينة "روسق بيلقاريا سماه والده، في أيامه الأولى محمد شفيق ثم أبدله إلى "مدحت". عرف بابي الأحرار، وأبي الدستور، اتهم بمقتل السلطان عبد العزيز، وقلب نظام الحكم إلى نظام جمهوري.

ومن أراد التوجه إلى مصر يأخذ معه البنتو⁽¹⁾ لأجل كرى
البوابير وخرجه، والذي قصده القدس الشريف يأخذ معه
ريالات مجيدي أبيض⁽²⁾ والزلط السائر⁽³⁾ بجدة ومكة
لخرجه.

والذهب كله يخسر، وريال الفرنسة والمجيدي بينهما
فرق عشرين ديواني لا زيادة، ليعلم الواقف على ذلك.

فقدمه ومجموعة معه الى " محكمة قصر يلدز" الشهير فحكم عليه بالاعدام. ثم نفي
الى سجن قلعة الطائف في الحجاز، وهناك اعدم خنقا. كان لمقتله دوي هائل في
أوروبا، واحتجت الدول الأوروبية على ذلك وقد تولى ولاية دمشق في آخر أيامه قبل
إعدامه. ويذكر الرحالة البريطاني لورانس أوليفانت في كتابه أرض جلعاد أن مدحت
باشا وافق على مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين وشرق الأردن وبانه شجعه
على ذلك.

(1) - البنتو عملة فرنسية بعشرين فرنكا ذهبيا كانت متداولة في مصر أيام الدولة
العثمانية.

(2) - المجيدي عملة فضية ذات قيمة شرائية محترمة، تنسب إلى السلطان العثماني
عبد المجيد.

(3) - أي العملة المعدنية المستعملة في جدة ومكة، والزلط هنا أتت بمعنى العملة
المعدنية من غير الذهب والفضة، والتي كانت تسمى في بلاد الشام نقود الحجر.

الباب الرابع

فيما يتعلق بنول البوابير وشروطها وكرى الدواب لتحصل به الفائدة

اعلم: نول بابور البحر من جدّه إلى السّويس أوّل لمبر [درجة أولى] عشرين ريال. النفر وثاني لمبر [درجة ثانية] خمسة عشر ريال، وثالث، عشرة أريل وأكلهم على أنفسهم. ومدة المسير من جدّه إلى السّويس أربعة أيّام، ومن السّويس إلى مصر في بابور البرّ أوّل لمبر جنيـ[هـ] ونصف، وثاني لمبر جنيـ[هـ] واحد، وثالث لمبر نصف جنيـ[هـ]. والمسافة من السّويس إلى مصر ستّ ساعات وعشرين دقيقة، ومن مصر إلى مفاغه في بابور البرّ أوّل لمبر جنيـ[هـ]، وثاني لمبر جنيـ[هـ] إلا ربع، وثالث لمبر نصف جنيـ[هـ]، والمسافة خمس ساعات وخمس دقائق التي هي مشي البابور غير مدّة الإقامة.

وركبنا الخيل من مفاغه إلى البهنساء من غير كرى، ومن مصر إلى الإسكندرية في بابور البرّ أوّل لمبر جنيـ[هـ] ونصف، وثاني لمبر جنيـ[هـ] إلا ربع، والثالث نصف جنيـ[هـ]، ومسافتها ثماني ساعات إلا خمس دقائق.

ومن إسكندرية إلى يافا في بابور البحر أول لمبر ستة
جنيـ[ه]، وثاني لمبر أربعة جنيـ[ه]، وثالث لمبر جنيـ[ه] واحد،
والمسافة ليلتان، ومن أراد التحقيق فليطالع الكتاب في محله.
ومن يافا إلى بيت المقدس براً على الدواب كرى كل دابة
ريالين إلا ربع، والمسافة اثنتا عشر ساعة وربع، ومن بيت
المقدس إلى الخليل، ثم إلى يافا، كرى كل دابة ثلاثة أربل مع
بعض المزارات.

ومن يافا إلى بيروت في بابور البحر أول لمبر أربعة جنيـ[ه]،
وثاني لمبر جنيـ[ه]ين، وثالث لمبر نصف جنيـ[ه]، والمسافة من
يافا إلى بيروت ساعة ونصف⁽¹⁾ ومن بيروت إلى دمشق الشام
براً في الكروسة، وهي العريّة، نول كل نفر جنيـ[ه]، والمسافة
ثلاث عشر ساعة إلا ثلث.

ومن بيروت إلى بنط سعيد في بابور البحر أول لمبر ثمانية
جنيـ[ه]، ثاني لمبر أربعة جنيـ[ه] إلا ربع، ثالث لمبر جنيـ[ه]
واحد. ومن بنط سعيد إلى الإسماعيلية في البحر الجديد في
بابور البوسطة أول لمبر جنيـ[ه] إلا ربع، وثاني لمبر نصف
جنيـ[ه]، وثالث لمبر ربع جنيـ[ه]، والجنيـ[ه] المذكور عن أربعة
أربل وربع.

وشروط بوابير البحر المذكورة:

الأول: الركاب أن يكونوا قد وافوا للضابطة ولدار
الصحة ولدار الجمرك الرسومات المحدودة بقوانين ونظامات

(1) - هذه المدة مستحيلة، ولا شك أنه ثمة خطأ ما.

البلد المسافر منها والمتوجّه إليها، فقولة الضابطيّة يعني دار الحكومة، وقولة دار الصحة يعني الكرنتينة، والجمرك هو موضع المعشر، بحيث يكون يخلّص نفسه.

الثاني من الشروط: أن يبرّوا ويعطّوا هذه التذكرة إلى القبطان عند نزولهم البابور، ويسلموها إليه عند خروجهم منه.

الثالث: أن يحضروا إلى البابور مع عفشهم قبل الوقت المعيّن لقيامه بساعة، ومن غاب وتأخّر عن ذلك الوقت، وقام البابور وتركه، لا يمكن له أن يطالب بالأجرة، إنّما يكون له أن ينزل بالبابور الذي يعقب البابور الذي تركه بحيث يكون ملزوماً أن يخبر الوكيل بذلك سريعاً، ولا تُردّ له الأجرة مطلقاً. وإذا تأخّر قيام البابور عن الوقت الذي تعيّن لسفره، لا يكون لأحد حقّ في طلب بدل ضرر نظير ذلك التأخيرة.

الرابع: الحذر أن يحمل أحدٌ من الرّكاب أموالاً مهربة، أو مكاتيب، أو مظروفات، أو ما أشبه ذلك، سواء كان وسط عفشهم أو على أبدانهم، وكلّ من ارتكب شيئاً من هذه المخالفات فإنّه يدفع عن كلّ مكتوب أو مظروف عشرين قرشاً تعريفه، ويدفع النول مضاعف عن الأشياء ذات القيمة ضعف ما في التعريف.

كذلك لا يسوغ للرّكاب أن يضعوا داخل عفشهم بضائع أو شيئاً مثمناً كالمتحف والمجوهرات أو الحلي ونحو ذلك، أن لا

يرخص للركاب خلاف ما هو مخصوص لذاتهم، وإذا ظهر أن أشياء مهربة داخل عفشهم تؤخذ منهم أجرتها مضاعفة.

الخامس: العفش المرخص لكل راكب للدرجة الأولى خمس قناطير، وللثانية ثلاثة قناطير، وللثالثة قنطاران، وما زاد عن هذا المقدار يدفع عنه عليه نولون باعتبار أجرة البضاعة الدرجة التي يكون بها، ويكون بياتهم مع من يرافقهم، وإذا طلبوا فرشاً تماماً للولد الصغير فإنه يدفع النول بتمامه، ويمكن لولدين صغيرين أن يأخذوا فراشاً واحداً، والأطفال الذين من سنّ سنتين لا يؤخذ عنهم أجرة.

السادس: أكل ركّاب الدرجة الثالثة من عندهم. وركاب الدرجة الأولى والثانية يأكلون من اللوكاندة⁽¹⁾ المصلحة، وهي موضع الأكل.

السابع من الشروط: لا تضمن البوسطة عفش الركاب من الضياع، إلا إذا سلّمه للوكيل وأخذ منه بوليصة⁽²⁾، أي تمسّك يتعين بها قيمته، ولا تضمن أيضاً النقود والحلي والمجوهرات التي تكون ضمن عفش الركاب. فلاجل اطمئنانهم يجزّوا تسليمه عند نزولهم البابور إلى الضابط الموكل بأمور الركاب، ويعطيهم بما يستلمه، مشروط أن النقود التي يحملها كلّ مسافر لا تزيد على خمسمائة ريال لراكب الدرجة الأولى، وأربعمائة ريال لراكب الدرجة الثانية، ومايتين

(1) - كلمة فرنسية تعني النزول الخاص بالمسافرين.

(2) - التأمين.

ريال لراكب الدرجة الثالثة، وأمّا الحجاج لحدّ ألف ريال، وما زاد على ذلك يدفع إليه أجره باعتبار واحد على المائة إذا حصلت الإخبارية عنه، واثنين على المائة إذا صارت إخفائية واستكشف عليه.

الثامن: أنّه ممنوع كلياً حمل أسلحة نارية أو جارحة أو باروت [بارود] أو رصاص أو مواد قابلة للإحراق والفرقة، ومن كان معه شيء فملزوم يخبر القبطان عنه قبل نزوله البابور وتسليمه له حالاً، وعند خروجه يرده عليه، وإلا فلا سبيل لدخوله في البابور.

التاسع: كل راكب فملزوم بأن يتبع الأصول والنظامات الموضوعة بالبابور، ومعلّقة بالقمرة الكبيرة وبصاري البابور من خلفها عادت عليه العواقب، ومن الممنوع ترك الكلاب والحيوانات الموالفة [الأليفة] مطلوقة إمّا في القمّرات أو في الصّالات، بل يصير ربطهم في البرد، وأصحابها يدفعون نولوها عند نزولها.

وكذلك بوابير البرّ، ليس فيها مراجعة في الدّراهم بعد قبضهم إيّاها كما تقدّم ذكر ذلك، والكرى يحسب قولهم ليس فيه مراجعة في التّقيص، وإذا أعطوك الكرى أعطوك ورقة بالشروط.

والبوابير المذكورة هي مراكب الدّخان، وجواري الدخان، والجنيل [الذكور عن أربع ريال وربّع فضّة. تعلم.

الباب الخامس

في ذكر مزارات قبور الأنبياء عليهم السلام،
والصحابية والأولياء وغيرهم، ممن تقدم بيان
ذكرهم في الكتاب ليسهل على من يريد بيانه

أما مزارات الأنبياء عليهم السلام:

فأما أولاد النبي صلى الله عليه وسلم الطاهر والطيب
بالبطائف. وأما أمنا حوى بجدّة، ونبي الله دانيال عليه السلام
بالإسكندرية. وذو القرنين الاسكندرُ بالاسكندرية. ونبي الله
صالح عليه السلام وأربعون من قومه بالرّملة، وهي بين بيت
المقدس ويافا. ونبي الله روبيل بن يعقوب عليهما السلام
بقرب يافا، مسير ثلاث ساعات منها. والسيدة مريم بنت
عمران عليها السلام بين جبل الزيتون وحرم بيت المقدس.
ونبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس
مختلف في قبره، قيل إنه محلّ كرسيّه، وقيل عند قبر أبيه داود
عليه السلام، وقيل في القيب قرب الصخرة، وهذه الأقوال
كلّها في بيت المقدس. والنبي داود عليه السلام خارج عن سور
بيت المقدس، ونبي الله العزيز عليه السلام ببيت المقدس
خارج عن البلد مقدار ساعة إلا ربع، وكهفه قرب قبره الذي
كان يتعبّد فيه أو كان يسكنه، فالله أعلم، ونبي الله الكليم

موسى عليه السلام قبره ببيت المقدس، بعيداً عن البلد بأربع ساعات ونصف إلى خمس ساعات. والراعي الذي كان يرعى له الغنم قبره بناحية منه. وأولاد النبي هرون عليه السلام في باطن بيت المقدس. ونبي الله راجيل بن يعقوب عليه السلام بين القدس والخليل، ونبي الله متى والنبي يونس عليهما السلام بقرب بيت المقدس. ونبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة، والنبي اسحق عليه السلام وزوجته رفقة، والنبي يعقوب وزوجته لايقة، والنبي يوسف الصديق عليه السلام، الجميع في مدينة الخليل من أرض القدس في محل واحد في غار تحت المسجد.

ونبي الله لوط عليه السلام بعيداً عن مدينة الخليل بمقدار ساعة وربع. وأما نبي الله العيص بعده مقدار ساعة ونصف عن مدينة الخليل. ونبي الله نوح عليه السلام بين وبين الخليل ساعتان، ومقام النبي زكريا عليه السلام بين الخليل والرملة، وقيل هو محل قبره في غار تحت المسجد. ويد نبي الله يحيى عليه السلام في بيروت، ورأسه بدمشق الشام في المسجد الأموي. ومقام النبي هود عليه السلام، وقيل قبره وقبور سبعين نبياً عليهم السلام تحت مسجد بني أمية. في غار بدمشق الشام وفي المسجد موضع قيل إنه مقام نبي الله الخضر عليه السلام. ونبي الله ذو الكفل عليه السلام في محل يقال له الصالحية بدمشق الشام، ومعه جملة من

الأنبياء لم نعرف أسماءهم. ما بين بيروت ودمشق والنبى
إلياس والنبى شيث عليهما السلام بها أيضاً.

وأما ذكر الصحابة والشهداء رضي الله عنهم؛

فسيّدنا عبد الله بن العباس بالطايف، وكذلك سيّدنا ابن
الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن
ثابت وأثا عشر من الصحابة شهداء بالطايف، والسيدة
خديجة الكبرى أمّ المؤمنين وهي أم فاطمة الزهراء رضي الله
عنهما بالمعلا من مكّة، وكذلك السيدة آمنة أمّ النبي صلى الله
عليه وآله وسلم بالمعلا من مكّة، وأمّ المؤمنين السيدة ميمونة
بمكة، وسيّدنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بالمعلا من
مكّة، وعبد الله بن الزبير بن العوام بالمعلا من مكّة، وأسماء
بنت أبي بكر الصديق بالمعلا من مكّة، وهي أمّ عبد الله بن
الزبير، وسيّدنا عبد الله بن عمر بن الخطّاب، والعبّاس بن
مرداس بمكة، وعتاب بن أسيد بالمعلا من مكّة، وسيّدنا أبو
هريرة وولده بمصر، والشهداء رضي الله عنهم في البهنساء،
وعمر بن العاص بمصر، ورأس سيّدنا الحسين بن علي ابن
أبي طالب «عم» بمصر على قول، وقول بدمشق، وله مزار بها،
وسيّدنا محمد حامل راية المسلمين في جبل الزيتون بالقدس،
وسيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه وأربعون من الشهداء
بجبل الزيتون بالقدس، وسيّدنا الفضل بن العباس بالرملة
بين يافا والقدس، وبلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدمشق الشام، وكعب ابن أبي، وأبو

عبدة عامر بن الجراح وطلحة والزبير ابن العوام، ومعاوية ابن أبي سفيان ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كل هؤلاء بدمشق الشام، وجملة من الصحابة أيضاً بدمشق في مواضع متفرقة. والسيدة زينب بنت علي ابن أبي طالب، والسيدة سكينه بنت الحسين رضي الله عنهم بمصر، والسيدة نفيسة رضي الله عنها أيضاً بمصر .

وذكر الأولياء والصالحين:

فالإمام الشافعي رحمه الله بمصر، والشيخ أحمد البدوي بطنطة من أرض مصر، فالشيخ إبراهيم الدسوقي بدسوق من أرض مصر، والشيخ عمر ابن الفارض بمصر، والإمام البوصيري ناظم البردة والهمزية بإسكندرية، وفي مصر ما لا يحصى من قبور الأولياء والعلماء والصالحين.

والسيدة رابعة العدوية بجبل الزيتون بالقدس، والشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ مجيي الدين العربي، والشيخ رسلان، كل هؤلاء بدمشق الشام بمحل اسمه الصالحية⁽¹⁾، وبين الصالحية ومدينة دمشق الأكراد الأيوبية المنسوبون لنبي الله أيوب عليه السلام، ومعاوية الصغير بن يزيد بن معاوية بدمشق الشام، وبها يزيد بن معاوية أيضاً.

(1) - ضريح الشيخ رسلان أو ارسلان ليس في الصالحية بل في خارج باب ثوما قرب سور دمشق.

وما ذكر محلات من المزارات وغيرها:

موضع نزول المائدة بيافا من أرض الشام، ومهد روح الله عيسى عليه السلام ببيت المقدس، وموضع السلسلة التي مُدَّت لنبيّ الله داود عليه السلام يحلفون عندها ببيت المقدس، وبئر الأرواح بزعمهم هناك أيضاً، ومربط براق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء ببيت المقدس، وفي جبل الزيتون من أرض القدس الموضع الذي رفع الله سبحانه نبيّه عيسى عليه السلام إلى السماء، وفي مصر سجن النبي يوسف عليه السلام، وهي بئر كبيرة عميقة من القلعة، وفي جبل سيدنا الكليم موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس حجارة الجبل إذا أُوقدت تشتعل مثل الفحم، والبحيرة التي أغرق الله فيها قوم لوط تُرى من جبل الزيتون، وهي من آيات الله تعالى، شأن وموضع ما وُلِدَ روح الله عيسى عليه السلام في قرية بين بيت المقدس ومدينة الخليل تسمى بيت لحم، وموضع النخلة التي هزتها السيدة البتول مريم عليها السلام أيضاً عنده، وغار الأنبياء بمدينة الخليل بمقدار أربعين دقيقة عن البلد، وهو السرداب الشريف المشهور، وغار أهل الكهف بالصالحية من أرض دمشق الشام، على الجبل هو محلّ عبادتهم، ويقربه غار الأولياء الأربعين.

والى هنا انتهاء ما تمّ لنا من السيّاحة مما شهدناه بالعيان، وفهمناه بالسماع، وتمّ نقله، ونسأل الله حسن

الخاتمة في المبدأ والختام، وما قصدت غير نفع إخواني المسلمين.

[توضيح]

ثم اعلم أيها الواقف على كتابي هذا، والمتأمل فيما نقلته من المسلمين والإخوان في الله، فلا يسيء بي الظن في دخولنا بيوت الأصنام، ومواضع المذاهب، لأنني لم أقصد بذلك اللهو والمعصية لله تعالى، نعوذ بالله من ذلك. وفي الحديث إنما الأعمال بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى. فأما الانتيكة، وقصدنا دخولها لأجل الاعتبار برؤية صور الأمم الماضين، وعظم أجسامهم وقوة صنايعهم وما أشبه ذلك.

والكنائس أردنا نطلع على ما فيها، وكيف صفة عبادة أهلها، حتى نحيط علماً بذلك، ونزداد شكراً على نعمة الإسلام.

وأما موضع الملاهي، قصدنا التفرج على البساتين وكيفية أشجارها وأنهارها ورأينا ما رأينا بغير قصد إلى ذلك، فحسن الظن بالمسلمين واجب كما لا يخفاكم ما جاء في الآثار: «وإنما حُرِّمَ من المسلم لحمه ودمه وأن يظنَّ به السوء وأن الله علام الغيوب»⁽¹⁾، واستغفر الله وأتوب إليه من كل ما وقع مني غير

(1) - حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظنَّ به ظن السوء، أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ولا بن ما جِه نحوه من حديث ابن عمر.

موافقٍ للحق، وأسأل الله الإعانة والتوفيق على طاعته كما
يحبّه ويرضاه عني مدّة عمري، وصلى الله على سيّدنا محمد
كلما ذكره الذاكرون أوغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله
وأصحابه أجمعين آمين.

[شكر]

بيان الذي توجهوا في أشغالنا وخدمونا في البلدان مدة
السياحة أحببنا ذكرهم تذكراً ربّما تبدي لنا الحاجة إليهم:
في السويس السيّد هاشم يوسف بمعرفة الشيخ محمد
باناجي بجدة.

في مصر الشيخ عبد الله بن سعيد باسالم الحضرمي،
والشيخ صالح بن محمد باعيسى الحضرمي شيخ التجار
بمعرفته.

في اسكندرية الحاج سعد الله جالّبة، بمعرفة محمد بن
يوسف باناجي أيضاً.

في بنط سعيد الخواجة ميخائيل الخوري، بمعرفة
المذكور.

في يافا الخواجه يوسف الدّباس وأولاده، بمعرفة باناجي.
في القدس الحاج يوسف حبّ رمان، والمزورّ الشيخ عمر
الدّنّف بمعرفة الخواجة يوسف الدّباس.

وفي مدينة الخليل الشيخ عبد الفتاح شيخ المدرّسين
واخوانه.

في بيروت السيّد محمد الظلمات بمعرفة باناجي.

في دمشق الشيخ محمد بن راشد الجالّد والشيخ سعيد
الغبيرة^(١) المدرّس في الجامع الأمويّ، بمعرفة السيد محمّد
الظلمات.

وعند كتابته، ووضوح فرائد بشارته، قال يقرّضه الشيخ
أحمد بن محمد بن أحمد الحضرواي المكي الهاشمي شعراً:

أجواهر سطعت برحلة ماجدٍ	يرقى إلى العلياء والمحاسن
أم هي شمس بالفضائل أشرقت	للبوسعيدي ناقد المعادن
قد فاز فيها بالزيادة والمنى	للأنبياء وكلّ حبر قاطن
كم في السباحة نال كلّ فضيلةٍ	وهي التي بمحمود في التباين
هو سيّد للفكر يجلب همّه	فوق السّمك وفوق كلّ مراهن
تمّ الكتاب وقال في إرشاده	بشراك يا مولاي بالتباين
وبدرك المنظوم قلت مبشراً	يرقى إلى العلياء والمحاسن

وقال غيره في وصف الكتاب ومؤلفه:

فمن كان مسعاه كسعي ابن أحمدٍ	فذاك إلى طرق الهداية يهتدي
له همّة في كلّ ما كان راجع	لطاعة مولانا وفي دين أحمدٍ
بدت عبر منه لنا في كتابه	تلين قلباً كان قاسي كجلمدٍ
يخبر عن أهل الأراضى أميرنا	لما ساح فيها فدفدأ بعد فدفدٍ
ركوباً على متن الجوّاري يجوبها	بوخذٍ وشيك السير ليس بجلعدٍ

(١) - الشيخ سعيد الغبيرة مشهور بمحاربته للمسرحي السوري الرائد أبو خليل القباني،
حيث شكاه للاستانة وساهم في إغلاق مسرحه في دمشق.

وطوراً على قَبِّ العناق فحبّذا	إذا ما علا يوماً بصهوة أجرد
تبارى النعام الرّيد بالسّيد الذي	له الفخر في العليا على كل سيّد
أتانا بأخبار القرون التي مضت	وما كان من تشييدهم والتشدد
وطاف مقامات النّبّين زائراً	قبورهم والصّحب من كلّ مهتدي
ونال بهم قرباً وكلّ فضيلة	علت في السما من دونها برج الجدي
فما سمعت أذنّاي شخصاً كمثله	ولا نظرت عيناى يوماً بمشهد
عجائب صنع الأولين كتابه	حواها وأحصاها وكان بمحصّد
وما قد رأى في الآخرين عجائباً	تضمّن ما أملاه من فكر أجمّد
مواعظ عمّ النفع منها لكل من	له القلب واع خائفاً من توعّد
فسمّاه درّاً وهو درّ منضّد	بسلك حسيّن النظم في جيد أغيد
إذا نشرت أوراقه ضاع عرفه	رضاء بلبّ حالك اللون أسود
ويشّرى لمن يقرّاه إن يك خاشعاً	على عبرة يتلو بقلب موحد
صلوة وتسليم مدى الدهر كلّه	من البارى للهادي النبيّ محمّد

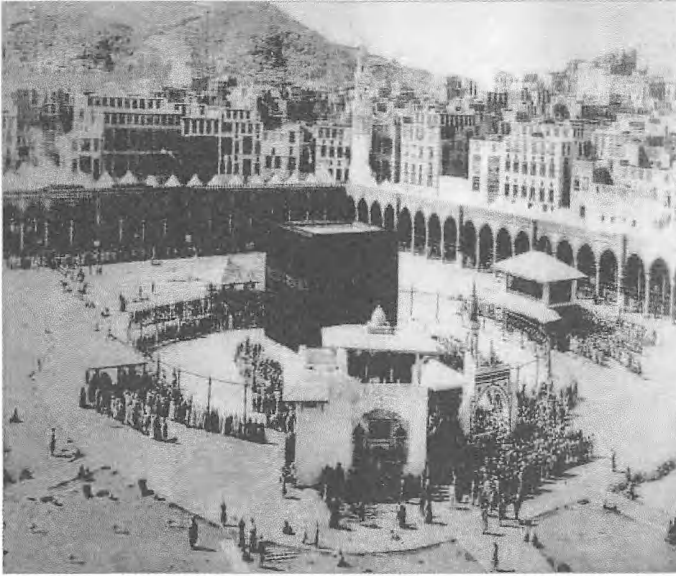
تم الكتاب بعون الله الوهاب

والحمد لله رب العالمين

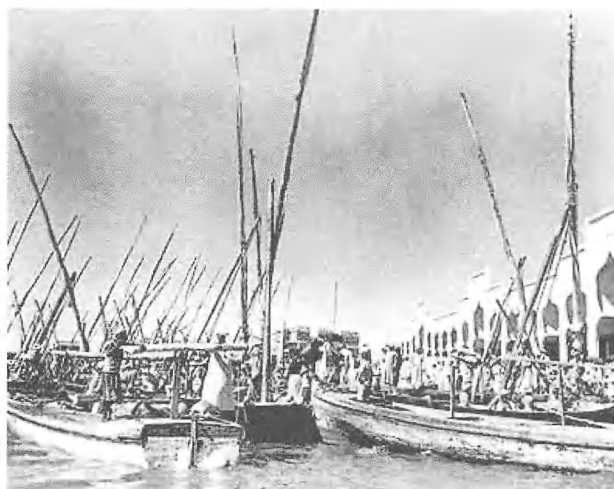
ملحق الصور



السلطان برغش بن سعيد البوسعيدي حاكم زنجبار الذي
رافقه رحالتنا في رحلة الحج إلى الحجاز



الكعبة المشرفة



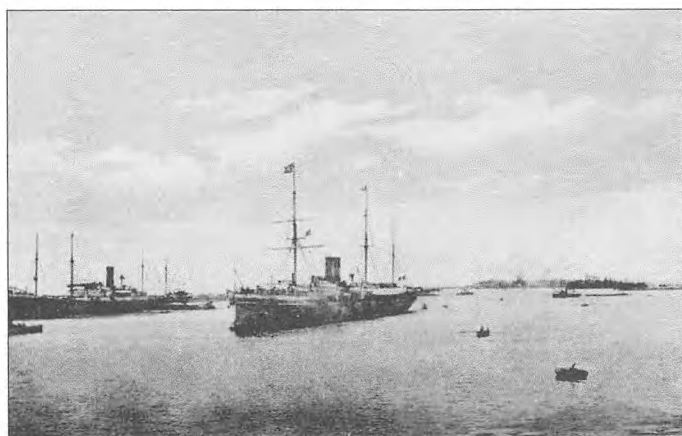
ميناء جدة



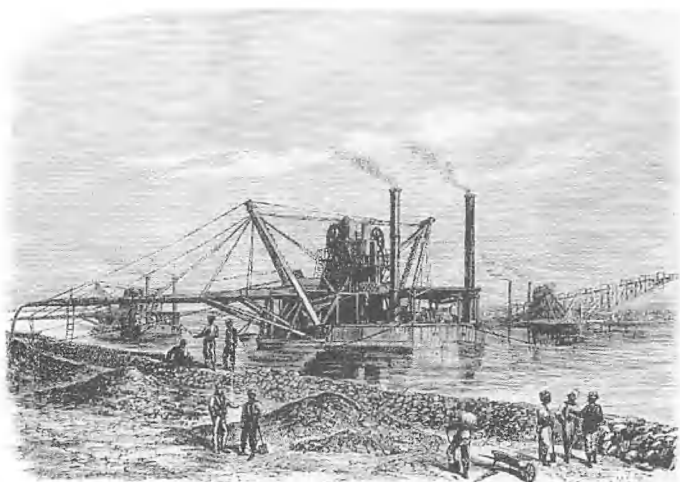
حجاج في ميناء جدة



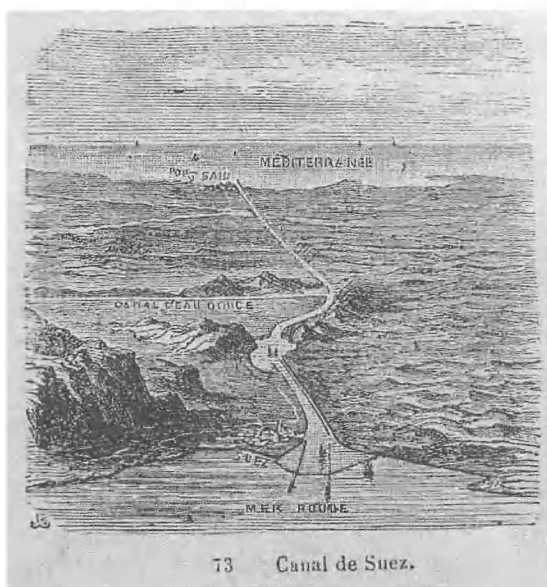
جمل على أحد طرق القوافل في الحجاز



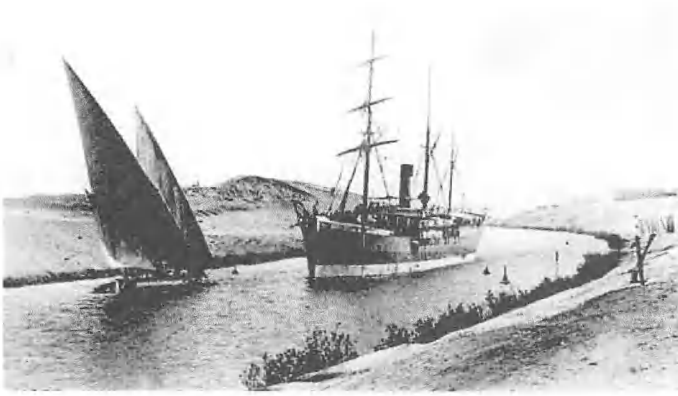
قناة السويس أواخر القرن التاسع عشر



قناة السويس أثناء العمل بها



رسم لقناة السويس بعد إنجازها



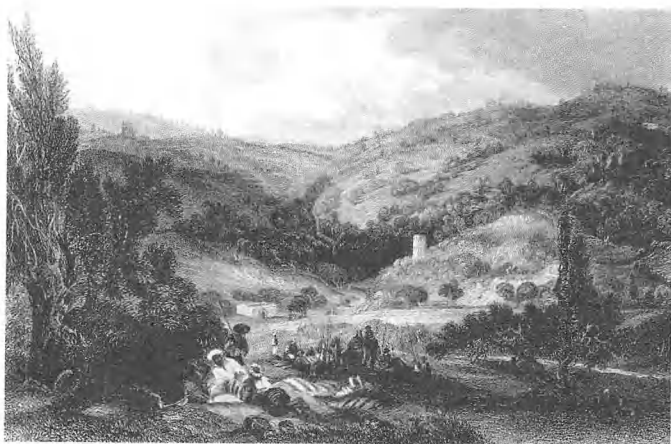
سفينة تعبر قناة السويس أواخر القرن التاسع عشر



أبو الهول في سبعينيات القرن التاسع عشر



مدينة يافا الفلسطينية أواخر القرن التاسع عشر



لوحة لجبل الزيتون المشرف على القدس أواسط القرن التاسع عشر



الطريق إلى بيت لحم أواسط القرن التاسع عشر



مدينة الخليل أواسط القرن التاسع عشر



جبل الكرمل المشرف على حيفا أواسط القرن التاسع عشر



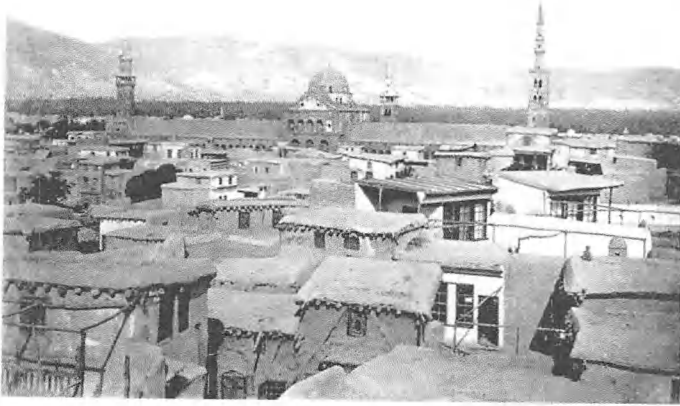
مدينة صيدا اللبنانية أواسط القرن التاسع عشر



جونييه أواسط القرن التاسع عشر



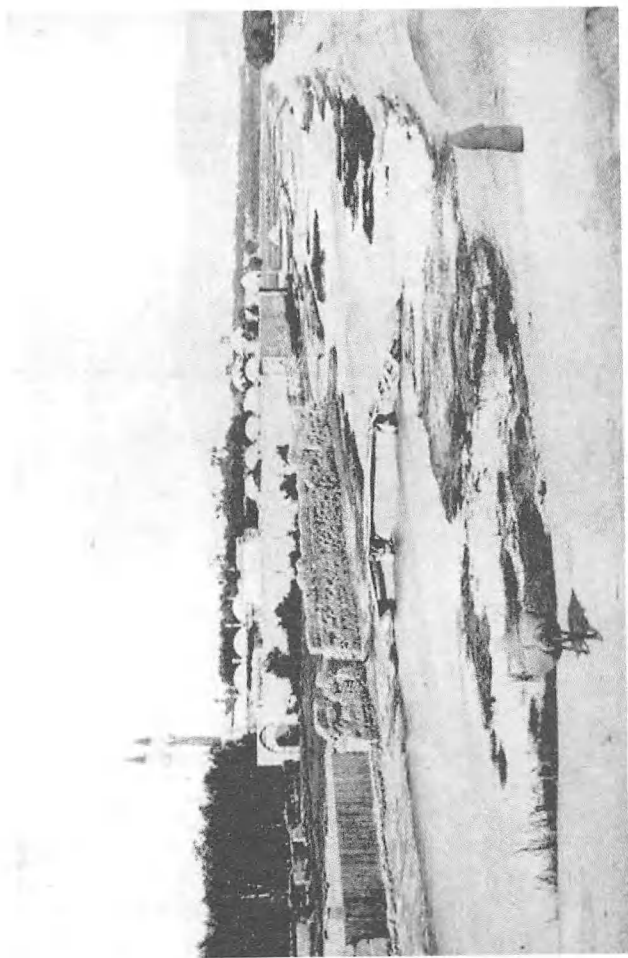
دمشق أواخر القرن التاسع عشر



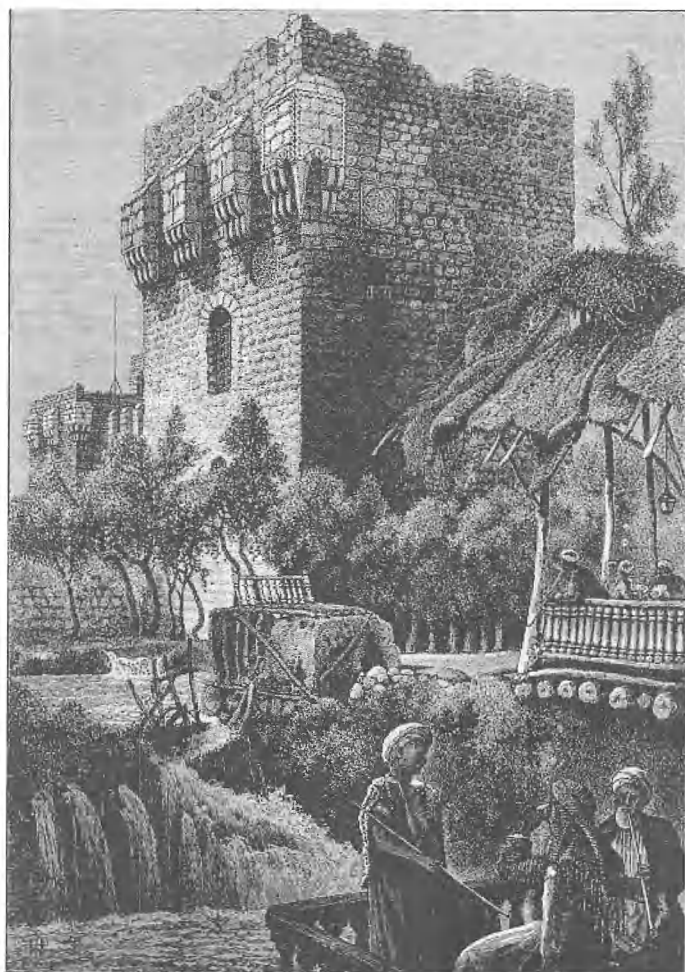
الجامع الأموي في دمشق أواخر القرن التاسع عشر



نهر بردى في دمشق أواخر القرن التاسع عشر



التكية السليمانية وبنه بردي أواخر القرن التاسع عشر



لوحة تمثل قلعة دمشق عام 1880م

أماكن وأعلام

- إبراهيم خليل الله، 61
 أبو هريرة، 86
 أسطنبول، 34، 38، 42، 72، 76
 إسماعيل باشا، 28، 34، 38، 42، 75، 76
 إسماعيلية، 24
 الإسكندرية، 25، 38، 41، 42، 45، 78
 الأكراد الأيوبيّة، 87
 الإمام الشافعي، 30
 البهنساء، 35، 37، 38، 39، 78، 86
 الجامع الأزهر، 29، 31
 الجزيرة، 8، 13، 28، 33، 62
 الجُنَيْنة، 28
 الحاج سعد الله جلّابة، 90
 الحاج يوسف حبّ رمان، 90
 الحزم، 20
 الحسين بن علي بن أبي طالب، 30
 الخليل، 60، 61، 63، 64، 79، 85، 88، 90، 103
 الخواجة ميخائيل الخوري، 90
 الخواجة يوسف الدّباس، 90
 الرملة، 63، 64
 الروم، 37
 السلطان عبدا لعزیز خان، 75
 السويس، 22، 24، 25، 27، 28، 46، 74، 75، 78، 90
 99، 100، 101
 السيّد محمد الظلمات، 90
 السيّد هاشم يوسف، 90
 الشام، 13، 44، 45، 48، 50، 59، 65، 70، 72، 77، 85، 86، 87، 88
 الشريف محمد ابن عون، 36
 الشيخ أحمد البدوي، 44
 الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد
 الحضرواي المكي الهاشمي، 13، 91
 الشيخ سعيد الفيرة، 91
 الشيخ عبد الفتاح شيخ
 المدرسين، 90
 الشيخ عبد الله بن سعيد باسالم
 الحضرمي، 90
 الشيخ عمر الدّنّف، 90

- الشيخ محمد، 90، 91
الصالحية، 68، 85، 87
الطايف، 18، 19، 20
الفضل بن العباس، 64، 86
القاهرة، 24، 26، 28، 32،
34، 35، 38، 43
القطيف، 40
القدس، 7، 49، 52، 58،
59، 60، 77، 85، 88، 90،
102
المنامة، 19، 20
المسجد الأقصى، 53
المسجد الأموي، 67، 69، 70،
85
النبي أيوب عليه السلام، 69
النبي يحيى ابن زكريا، 68
أم عبد الله بن الزبير، 86
أمير مكة الشريف عبد الله، 19
أهرام مصر، 39
بنر التقل، 19
برغش بن سعيد، 9، 10، 12،
16، 17، 96
بركة فرعون، 22
بلاد الإفرنج، 44
بندر جدّة، 17
بنط سعيد، 25، 46، 72،
73، 74، 79، 90
بوبيو، 11
بولاق، 26، 28
بيت المقدس، 51، 52، 60،
63، 64، 79، 84، 88
بيت لحم، 60، 88، 103
بيروت، 41، 65، 66، 70،
71، 72، 79، 85، 90
ثقيف، 19
جبل الزيتون، 56، 60، 84،
86، 88
جبل طور سينا، 22
حيفا، 64، 72، 104
دانيال، 16، 43، 84
دمشق الشام، 66، 70، 75،
79، 88
ديوان بابا، 22
رابعة العدوية، 56، 87
رفقة، 61، 85
زنجبار، 8، 10، 11، 12،
16، 17، 96
زيد بن ثابت الصحابي، 18
زين العابدين رضي الله عنه،
69
سارّة، 61، 85

مزار السيد محمد الملم حامل	سلمان الفارسي، 56، 86
راية المسلمين، 56	سوريد، 39، 40
مزار الشيخ محي الدين ابن	سيدنا العزيز، 59
العري، 69	سيدنا داود، 57
مقام النبي هود، 68	سيدنا سليمان، 57
مقام نبي الله الخضر، 68	سيدنا عيسى، 54
مكة، 12، 13، 17، 19، 20،	شداد بن عاد، 39
21، 36، 49، 75، 86	صور، 27، 33، 89
نبي الله الميص، 85	طنطا، 44
نبي الله روييل بن يعقوب، 72	عبد الرحمن بن أبي بكر
نبي الله صالح، 63	الصديق، 69، 86
نبي الله لوط، 62	عبد الكريم رافق، 7، 52
نهر يوسف، 36، 37	عبد الله بن العباس، 18، 86
نيل مصر الكبير، 27	عبد الله بن عمر بن الخطاب،
وادي النار، 55، 56	86
وادي النمل، 18	علي بن أبي طالب، 18، 86
وادي جهنم، 55	عمان، 10، 17
والبهجة، 19	فاطمة الزهراء، 86
وزبيدة بنت أبي جعفر المنصور	فلسطين، 7، 8، 9، 77
العباسي، 18	فوغية، 8، 52
يافا، 48، 51، 64، 72، 79،	لايقة، 61، 85
84، 86، 90، 102	محمد بن الحنفية، 18
يزيد بن معاوية، 30، 68، 69،	محمد علي باشا، 27
87	مريم بنت عمران، 56، 84
يعقوب لنداو، 8	

